السنة الثانية
أيار – حزيران ١٩٦٦

الراهبة هندية

٣ – الميامر والصلوات

بقلم ميشال الحايك

بين الكتابات العديدة التي نسبت الى هندية وقد اوردناها بمناربنا في مقال فائت[1] ، قيل انها ألفت «ميامر». ولا شك في ان انتقائل وهو اخوها الاب نقولا عجيمي[2] يشير بكلامه هذا الى الاناشيد البيعية التي ننشرها فيما يلي – ولقد عثرنا عليها في مخطوطين ، واحد في مكتبة البطريركية المارونية في بكركي ، والثاني في مكتبة مجمع انتشار الايمان في روما – لم نستطع تصوير مخطوطة بكركي لمقابلتها بمخطوطة روما ؛ ولكننا نذكر ان الخط في كلتيهما واحد ، وان مخطوطة بكركي تحتوي اولاً على « تسابيح لعشية الاحد وصباحه » ثم على اناشيد «الطفولية» المسيح ودخوله للهيكل وختانه واعتماده .

---

١) المشرق ، العدد ٤ ، سنة ١٩٦٥ ، صفحة ٣٢٥ .
٢) المصدر نفسه ، صفحة ٣٢٥ .

ان مخطوطة روما التي ننشرها هي محفوظة في مجلد مستقل عدده ٢٢ مرقوم بالاعداد الرومانية . وعنوانه « Miscellanea Maroniti » . قطعه متوسط وورقاته سليمة . والخط فيه سقيم . وصفحاته غير مرقومة اصليا بل رقمت فيما بعد بالاعداد الفرنجية فبلغت ١٤٥ ورقة . يعقبها تسع صفحات بيضاء . لقد كتب على ظاهر الصفحة ١٤٨ باللغة الايطالية ان المطران الماروني بطرس كرم اوصل سنة ١٨٢٥ الى المجمع المقدس هذا المؤلف الذي وضعته هندية .

ارتاب الاب بولس مسعد[1] بصحة نسبة هذا الكتاب لهندية اذ ليس عليه اية مصادقة من البطريرك الماروني القائم آنذاك : كما انه ليس فيه ذكر للناسخ الذي يجهل قواعد اللغة العربية وهو ذو خط سقيم . ونسي الاب المرحوم ان شهادة المطران بطرس كرم تدل على صحة نسبته وان سقم الخط وجهل القواعد العربية لا يكفيان لالقاء الشبهة عليه والطعن فيه . فهندية لم تتقن العربية كما لم يكن يتقنها كاتبها الاول المطران جرمانوس صقر حتى ولا المطران جرمانوس دياب من بعده وان كان اضطلاعه بها اعمق من اضطلاع سلفه .

وبالحقيقة ان لغة هذه الصلوات مضطربة متقلقة محشوة بالاغلاط النحوية والصرفية يجهل صاحبها اعراب الفاعل والمفعول وحالات الجزم والنصب والجمع والمثنى : كما انه يجهل اصول الاملاء ويهمل كتابة النقاط على بعض الحروف فيكتب مثلاً « اندحال » بدل « انذحال » او « انقاد » بدل « انقاذ » او « انبتاق » بدل « انبثاق » ويكتب التاء القصيرة بدل الطويلة او بالعكس متى وردت في آخر السطر ليملئ بالتاء الطويلة الفراغ الباقي في نهاية السطور . وان اطرف ما في كل هذا هو جمع « بخور » بكلمة « بخاخير » . وقد ورد هذا الجمع الغريب في الترجمة القديمة لكتاب خدمة القداس الماروني في طبعته الاولى في روما عام ١٥٩٦[2] . فاذا كانت هذه الغرابات تدل على مستوى العربية بين الموارنة في ذلك العهد ، فيا من الحيف ان نتخذ من هذا المثل برهاناً قاطعاً يعمّ الجميع ، اذ لا بد لنا ان نذكّر بان هندية جاءت بعد جرمانوس فرحات وعبد الله قرألي .

---

١) الاصول التاريخية ، المجلد الثاني : صفحة ٤٢٨ .

٢) هكذا « ... ومن اجل الموتى المؤمنين الذين انتقلوا من بيننا في البخاخير التي توضع لرحتك يا رب نصلي . » في كتاب خدمة القداس بعنوان : *Liber Ministri Juxta ritum Ecclesiae nationis Maronitarum*, Rome 1596, p. 8..

واذ نذكر قرألي فلا بد من الاشارة بان هندية سكنت دير حراش كما قلنا سابقاً . وهذا الدير كان سكنى المطران قرألي وهو رئيس اساقفة بيروت ؛ وهو الذي سنّ للراهبات قانونهن وسلّم ارشادهن الروحي عام ١٧٢٥ : وقد ألّف « الافراميات » المعروفة التي لا يزال ينشدها الشعب الماروني في القداس . وقد ألّف هذه الميامر تعزية لنفوسهن وابعاداً للضجر والوحشة . وقد استحسنها بعض الاساقفة فادخلوها في الاحتفالات البيعية[1] .

ولا شك في ان دير حراش حفظ هذا التقليد عن قرألي فورثته هندية او مرشدها الاول المطران جرمانوس صقر فكان لنا من هذه المحاولات لنقل الطقس السرياني الى العربي مع حفظ الالحان الاصلية هذه الميامر التي وصلت الينا ، واخصها الميمر الاول وهو « باعوث لميلاد يسوع ربنا » . اما الميمر الثاني فهو على اللحن السرياني المعروف باسم « لشحومنا » (ܠܫܚܘܡܢܐ) : وموضوعه هو الميلاد .

وما بقي من الميامر فهي بالاحرى ابتهالات غير مسجعة موضوعة على غرار الطلبات المعروفة في الطقس الماروني بلقب « السدر » (ܣܕܪܐ) ، وهي اربعة اناشيد : واحد « لطفولية يسوع ابن الله » والثاني « لختانة سيدنا يسوع المسيح ولاسمه القدوس » والثالث « لاعتماد سيدنا يسوع المسيح » والاخير « لدخول السيد المسيح الى الهيكل » .

قد يكون اذاً ان هندية حاولت من وراء هذه الاناشيد التي تشمل الاعياد السيدية منذ الميلاد حتى دخول المسيح للهيكل في الثاني من شهر شباط ان تبدع صلوات لكل الاعياد السيدية ثم توقفت عن مشروعها هذا لحاجات اخرى وهي تلك القضايا اللاهوتية التي راحت تمعن التفكير فيها والكلام عنها ؛ فكان لنا من ذلك تلك المقالات الصوفية التي سوف نتابع نشرها .

وفي كل هذه المقالات نجد ان لهندية لغة صوفية خاصة بها تدور حول مفردات محورية هي هي في كل المؤلفات التي وردت تحت اسمها .

---

١) راجع كتابنا *Liturgie maronite : Histoire et textes eucharistiques* Paris 1964, P. 88, 162 حيث ذكرنا ان كل نشيد من كتاب « الافراميات » الحالي ينتهي بكلمة « عبد » في مقطعه الاخير هو من تأليف عبداللّه قرألي، كما ذكرنا انه هو مؤلف نشيد « يا خبز الحياة » ، ومترجم « بنورك ربنا يسوع ... » « وملاتك سنا » و « فلنقف حسناً باجمعنا » و « بسر قيامة المسيح ربنا » في خدمة القداس الماروني .

وهذه المفردات نجدها في هذه الميامر والاناشيد التي قد تكون من اقدم مؤلفات هندية عهداً ؛ اي من عهد دير حراش ؛ اذ ليس فيها بعد اشارات الى البلايا التي نكبت بها في دير بكركي ، ولا الى الاعداء الذين احاطوا بجمعيتها من كل جانب كما ذكرنا .

وان اهم هذه المفردات هي التالية مع مشتقاتها من نعوت وافعال ، حاولنا ان نكتشف من ورائها التعابير الصوفية الاصلية في التقليد اللاهوتي المسيحي وقد كتبناها بالفرنسية ؛ على امل ان نقابل فيما بعد بين معجم هندية الصوفي والادب المسيحي في القرن السابع والثامن عشر في الشرق :

الحرق ، النفوذ (transverbération) . اختطاب الذات (ravissement) . جوهري (substantiel) . تماجيد (louanges) . كمالات (perfections) . ماهية (essence) . فاعلية (efficience) . هيولى (matière prime) . حركة (motion) . تأثيرات (influx) . تنوير (illumination) . فاهمية (intellection) . قابلية (réceptivité, puissance) . صدور (procession) . ظهور (manifestation) . الربح ؛ الربحي (acquisition, acquis) . اندهال (émerveillement) . هيئة (représentation) . حس (sensation) . الى ما هنالك من تعابير مثل الحكمة ، بر الارادة ، الاتساع الخ .

وفي كل هذا تكون هندية ساهمت في تطويع هذه اللغة العربية التي قيل عنها انها لا تتنصّر وادخلت فيها مفاهيم وقيماً جديدة . وقد يكون ان كل ما كتب ونسب الى هندية مردّه الى هذه التعابير القطبيّة التي فاهت بها كانها شطحات جاءت نتيجة اختباراتها الروحانية ؛ فحبّر الكاتبون مقالاتهم بدءاً من هذه المراكز الاولية . والله اعلم .

بقي ان نقول ان هندية تعتقد ان يوحنا السابق قد انقذه المسيح « من الخطية الاصلية » كما جاء في نشيد الاعتماد في ادناه ، وهذا ما لم يقل به احد . ثم انها اذ تتكلم في النشيد نفسه عن الروح القدس تقول انه ينبثق من الآب والابن « كمن مبدا واحد » ؛ وهذا ما ورد لاول مرة على لسان القديس اغوسطينوس واصبح في اللاهوت اللاتيني اساس تعليم الكنيسة الرومانية . هذه الاشارة العابرة تدلنا على اثر واضح لتلامذة مدرسة روميه في مؤلفات هندية فنتثبت انها اخذت عنهم .

اما الصلوات التي ننشرها بعد الميامر فهي كما جاء في عنوانها « صلوات جليلة تجب تلاوتها قبل تناول القربان المقدس وبعد تناوله . قد جمعت باختصار من الاقوال الكثيرة الحارة التي كانت هندية ... تناجي ختنها السموي وتخاطبه بها حين تناولها هذا السر الالهي حسبما كان يلهمها تعالى ويحركها الى النطق بها». فيبدو من هذا الكلام ان ما جُمع وحفظ من ابتهالاتها الحارة هو قليل من كثير . وهذا القليل اقتطفناه من المخطوطة رقم ١١١ الموجودة في دير الرهبان الحلبيين في روما وقد وصفناها في مقالنا الاول[1] . وهو يشمل في المخطوطة الصفحات ٣٢٢ — ٣٤١ .

فالصلوات التي تتلى قبل التناول هي « فعل الايمان والسجود » . « فعل الرجاء » ؛ « فعل المحبة » ، « فعل الندامة » ، « فعل الانضاع » ؛ « فعل الاتكال » ؛ « فعل الاشتياق » ، « صلوة للعذراء » . « صلوة للملئكة والقديسين » .

والصلوات التي تتلى بعد التناول هي « فعل الايمان والسجود » ؛ « فعل الرجا » ؛ « فعل المحبة » ، « فعل الشكر » ، « فعل الندامة والانسحاق » ، « فعل التقدمة » ، « فعل الطلبة » .

ان هذه الصلوات قد جاءت دون شك بعد الميامر تاريخاً ، فلغتها العربية اصلح بكثير من الاولى ؛ فهي من اسلوب جرمانوس دياب قبل ان يقام مطراناً على دير بكركي . ولكن ايًّا كان الكاتب او الواضع ومهما كان الاسلوب واللغة فان بين الميامر والصلوات وحدة في النزعة والتفكير والروح قائمة على ذات التعابير الروحانية الاولية . واذ ننسبها لهندية فانما نعني ان هندية كانت مصدراً او على الاقل سبباً لها .

٥

١) راجع المشرق ١٩٦٥ ص ٥٦٦-٥٦٧ .

[الباصر]

باعوث لميلاد يسوع ربنا
تصنيف الأم هنديه عجيمي مؤسسة رهبنة قلب يسوع
يقال بلحن يعقوبي

١ – نهلل نعظم نمجد نسبح باتئاد حبنا :
ميلاد ربنا ايسوع بالجسد متروأ حننا :
عمانوئيل اسمه العجيب الله معنا :
اذهل السما وابهج الارض وكل عالمنا :

٢ – ايها الاب عظيم الجلالة بتعاليها :
ايها الخالق السما والارض وكلما فيها :
نمجد قدرتك المتسعة بمفاعيلها :
نمجد حكمتك الازلية وخوافيها :

٣ – يا متمجد بوحدانيتك الازلية :
المتسعة من غير حد بالفاعلية :
نمجد محبتك كاملة بالبر ومتعالية :
تماجيد بتهليل من غير فتور بالكلية :

٤ – بهذه المحبة الالهية ارسلت حبيبك :
ابنك وحيدك صورة ذاتك وبه مسرتك :
نحو العالم منقذاً مخلصاً انفس خلايقك :
مفيضاً علينا سوابغ نعمتك وبرّ خيراتك :

٥ – يا ابن الله ثاني الأقانيم الالهية :
يا متمجّد بالحب لذاتك الازلية :
يا من اظهرة مفاعيل جودتك القدسية :
بسر تانيسك من الطبيعة البشرية :

٦ — يـــا ابن الله العلي القدير الغير مقهور :
يامن لن تذال بذاتك غير محسوس وغير منظور :
شيت بازليتك عادمة البدى قبل كل الدهور :
ان يكون لحضرتك بسر تانيسك ابتدا منظور :

٧ — بجـدك النقي البهي الشهي مبهج البرية :
بحس بشرى حقيقي يعلن بالفاعليـــة :
ممـــا يختص بطفوليتـــك القدسيـــة :
أمرًا عجيبـــاً غريباً مـــذهلاً بالكليـــة :

٨ — يا متعالى بجوهر طبعك النور البديع :
الغير ملموس الغير مضبوط وضابط الجميـــع :
بتناذل عظيم قد ظهرة طفلاً محبوباً وديع :
بسر ميلادك الكامـــل البر والبهـــا الليع :

٩ — كامل بطهره واضح سموه بعلو نقاوتك :
طبيعي سري عجيباً مدهلاً بقوة قدرتك :
بافعال حكمتك طاهرة بكونها في ناسوتك :
الكلي الطهر الذي اتحـــد بـــه لاهوتك :

١٠ — امجـــد لعلو تمـــاجيد كمالاتك العليـــة :
المتظـــاهرة بمفـــاعيلها الالهيـــة :
وبهـــا اوضحت تعاظم محبتـــك السرمدية :
بتنـــاذل عظيم واتضاع ادهل كل البريـــة :

١١ — يـــا ابن الله ايهـــا الاله العلي الامجد :
انك مع ابيك وروحك القدوس اله واحد :
انت الممجد مجدًا من الاذل الى الابد لن يحد :
وتهديك السبح ارواح العلا التي الا تعد :

١٢[1] — قايلين قدوس قدوس قدوس الاله ربنا :

١) العدد ١٢ منسي في المخطوطة .

العـــالي العظيم باري البرايـــا وهو خالقنا :
المجيد السعيـــد السخي الكريم الفايق الغنا :
الممجـــد بتمجيـــد ذاتك بعزايفنـــا :

١٣ — يا من تنادلت بطبعك العلي السخي بالعطـــا :
العالي الرفيع من غير يمكن ان يتوطى :
اردت واحببتنا وانقذت جنـــنا من الشر والخطا :
ورفعتـــه الى علو سام من الذل والشقا :

١٤ — باستحقاقات تناذلك شيت بها وبير ارادتك :
بفعل روح قدسك تتخذ جسداً من والدتك :
بهذا عظمت نفسها وطهرت جسمها بطهرك :
وذدتهـــا برارة بنقاء عظيم عـــال ببرك :

١٥ — هكذا رقيت نفسها معظماً باوفر تكريم :
بظهور فاعليـــة ميلادك النقـــي العظيم :
طبيعيـــاً سرياً حـــاوياً بـــاوفر تفخيم :
غوامض خفية تجل عن كل وصف وادراك كل فهيم :

١٦ — بهـــذه الاستحقـــا[1] عظمت بتوليتهـــا
بتطهير عال تعظم[2] النقاوة وبه رفعتهـــا :
مظهراً صونك ايـــاها بتول بطهارتهـــا :
لن يذال دايمـــة بتوليتهـــا ونقاوتها :

١٧ — يا من افردة مكاناً معيناً بحكمـــة علية :
يعلن في مدود ومغـــارة حقيرة دنيـــة :
حاوياً سراً قايماً في الطبيعـــة الالهية : :
ومختصاً بحق في الطبيعـــة البشرية :

---

١) هكذا في الأصل وقد يكون المراد « الاستحقاقات » ليستقيم نوعاً الوزن المثقل .
٢) في الأصل هكذا : « تعظم » والمراد : « بعظم » .

١٨ — شيته ان يكون كاملاً بجوهرك مدى الأبدية :
ما هو مختص بربريتك[1] السرمدية :
ويكون حاوياً جوهر الطبيعة البشرية :
الذي اتخذته بناسوتك اية سرية :

١٩ — الذي اردت به بر ارادتك الالهية :
تتظهر[2] الوفا الكامل العدل بالكلية :
بما هو مختص في الطبيعة البشرية :
مقابلاً خطية ابينا ادم الاصلية :

٢٠ — المتضمنة اشتبا العلوم والسمو باشتهار :
القايمة في عصاوته السية خلت[3] الاشرار :
الذي فيها قد طرح نسله ببحر الاضرار :
واشقا ذاته شقاً بغير وصف عظيماً بانجهار :

٢١ — قد كان قاصاً بطبعه الشريف السامي الجليل :
العالي في البر الاصلي العظيم الفضيل :
خسارته الجسيمة وكربته الدميمة بالسقوط الدليل[4] :
ومع ذا رضى به باعتماد ردي ما لشره مثيل :

٢٢ — اما الحنا يسوع العالي المجيد العظيم :
فاقتبل بالوفا بطبعه البشري الشريف الكريم :
كلما بكرهه طبعنا البشري الحقير السقيم :
بالمقة والردل والصد والنفور كالشي الدميم :

٢٣ — يا من علية برضاك امرك الكلي الوقار :
بازا الارواح السماوية بعذ وافتخار :
بما هو مختص بسر تانيسك حاوي الاسرار :
بايضاح كامل وبيان واضح كلمع الانوار :

---

١) المقصود « بربريتك » .
٢) في الأصل هكذا : « تنظهر » والمقصود : « تظهر » .
٣) اي « عصاوته السية خلة الاشرار » .
٤) المراد به هنا « الذليل » .

٢٤ ــ فاضحوا بالخضوع[1] يسجدون له برهبة ووقار :
مسبحين معظمين ممجدين موقرين علو الاسرار :
المكنونة بصنيع قدرتك ذات الانتصار :
الذي هو سر تجسدك التقي كنز الاخيار :

٢٥ ــ باحنا المناكب بصيعة[2] ارتجاف بعد العصمة :
معظمين بخوف ما هو قايم بسر العظمة :
اي سر تجسد الابن الوحيد رب النعمة :
فادى منقذ للبشر من الشر وضر الثمة :

٢٦ ــ ما هو قايم بهذه السر بقدرة عليمة :
هو بالطبيعتين الالهية والبشرية :
هذه التي اقامها الابن رب البرية :
قياماً جوهري يعلو الافهام الملكيّة :

٢٧[3] ــ بتسابيح منوعة ماهيتها ممجدين :
بهيبة واحترام واكرام قايلين :
عال هو سر تجسدك الهنا علة المقتدين :
فايقٌ الارتفاع بعلو يسموَ فهم الفاهمين :

٢٨ ــ الذي به ارات[4] ترفع طبيعة البشرين :
بالايمان بك ايها المنتظر من الصديقين :
وترفع جوهر انفس البشر المخلوقين :
التي توطت بدل[5] السقطة لاسفل السافلين :

٢٩ ــ عظيم ممدوح ممجد مسبح معتد بالجلال :
سر التجسد بسر ميلادك عميم الأفضال :

---

١) المقصود « بالخضوع » .
٢) « بصيعة » ، والمقصود « بصيغة » .
٣) العدد ٢٧ مشي في النص الأصلي .
٤) وقد يكون المراد هنا كلمة « اردت » .
٥) « بدل » اي « بذلٌ » .

بهودج[1] المليكة متعدد الطفحات باعث احتفال :
يحق لمن هو رب البرايا الهنـا المتعال !

٣٠ — بظهور حبنا لجسدك البهي معشوق كل بار :
الكامل السخا بالجود والعطا لبني البشر :
نعماً بركات عطايا مدهلة وكشف الاسرار :
بفيض فايق كبحر ذاخر يعلو الانكار :

٣١ — ايها النادي كل حركة بالكون بالخلقة :
بابتدا حركة جسدك النقي عظيم الرقـة :
اظهرة اضطرام باشواق عظمة كاملة صادقة :
بقلبك المجيد العالي الحب فوق كل ارتقا :

٣٢ — لابتدا الوفـا المختص بعربون الغفران :
مفيض العواطف بحب سام فايق الاحسان :
عظيم قوي بالفاعليـة نحو كل انسان :
ثابت دايم في الذمنية في كل اوان :

٣٣ — انت المانح الحركة الحاية[2] باقتصاد :
المقيسة الاشتراك ما بين النفس والجسد :
صرت متحركاً بطفوليتك كما هو المعتاد :
حركة وديعة تخطف ابصار جميع العباد :

٣٤ — امجد لحكمتك والاسرار العاليـة العظيمة :
المحتوية سر ميلادك جليل النعمة :
لك التسبيح وعظم التماجيد المستقيمة :
لبر ارادتك فايقـة الجود وبالسخا كريمة :

٣٥ — هذه التي فيها افردت ما تشا بالجود :
لادراك مريم امك ويوسف خطيبها الودود :

---

١) « بهودج » اي « بهودج ».
٢) « الحاية » اي « الحية ».

بالفاعلية في نفسها وتأثير بسجود :
في قلبيها بحب طفوليتك يا خير مولود :

٣٦ ـ بتسابيح عظيمة كانا بفرح يمجدان :
لما هو واضح بمجدك النقي بهجة الاكوان :
بسطوة عظيمة رهيبة جسيمة وعدة[1] بسلطان :
وهيبة بارتفاع تعلن بكونك الهنا وانسان :

٣٧ ـ المجد لرحمتك الالهية يا ذات السلام :
بنعم ذاتك العلية بعذ واكرام :
شئت ان تلقي سلاماً جوهري ضمن العالم :
في ناسوتك البهي النقي خيرنا الاعظم :

٣٨ ـ بمدود محتقر ما بين البشر مختص بالبهيم :
كانك كما شية في عرش مجدك الشريف الكريم :
مولاً بمجدك المتاله بالحس العظيم :
ما هو يلم في فاعلية التبني الدين الدميم :

٣٩ ـ كانت اجواق النورانيين يهتفون صارخين :
الهنا ربنا صانع البرايا العدميين :
غير مفهم غير متناه لدهر الداهرين :
بالتنعم في ذاتك يا نعيم السمويين :

٤٠ ـ تقبل الماً عظيماً بدل مهين البهايم :
لتنقذ مخلصاً جنس البشر من توحش ما يلم :
بميل انساني مختص في كل جاهل وعالم :
من قبله سقمة ادم مبدع اقظع المآثم :

٤١ ـ المجد لاتصاف كالات رحمتك الهية :
اظهرت فيها ببيان يعلن بانوار علية :
اتساع محبتك العلوية السرمدية :
بما حدث بمدود كوارث محذنة الصدية :

---

١) اي « وعزة » .

٤٢ — تتصل بجدك النقي الاقدس الوديع اللطيف :
والاملك[1] البتول وخطيبها النار[2] يوسف الشريف :
بافراح علية مع سرور من جسمك الذريف[3] :
بحركة مفرحة تدهل وتدهش كل صديق عنيف :

٤٣ — حركته بالم وفرحه بغرام حباً بالانام :
باتفاق عجيب بتدقيق وترتيب يعلو الافهام :
يجول عينيه نحو والدته بحب باضطرام :
ويوسف معها ينظران الحال بهيام باحترام :

٤٤ — ينظران عجباً اعين ترمق دل الخلايق :
تظهر[4] بسيطاً باطنولية شهياً رايق :
ومع ذا ينظر بمعرفة كاملة بحكمة خالق :
فلذا يدهلان بدوبان الحب النقي الصادق :

٤٥ — يذرف دموعاً سخية بشوق واطرام[5] بديع :
مع حس الالم لانقاذ البشر من الاثم الفظيع :
بسبب السقطة مورث الشقا والضيق المزيع :
المنوع صنوفه وماهيته بشر حال شنيع :

٤٦ — يا متمجد بعظمة ذاتك الالهية :
المعتذة بالفاعلية العلوية ؛
بتدبير عال يفوق طور العقول البشرية :
بل يسمو بغير حد الافهام الملايكية :

٤٧ — ارسلت ارواح النورين شرفا القيمة :
المختصين بسر المحبة تلك العظيمة :

---

١) اي « وال امك » .
٢) طبعاً هي « اتباره » .
٣) اي « الظريف » .
٤) هكذا في الأصل .
٥) « اطرام » اي « انطرام » .

وباشهار وضوحها بالفاعلية برحمة عميمة :
قوية عالية جليلة سامية مدهلـــة كريمة :

٤٨ ــ ملاكك العظيم وافى ببهجة مبشراً الرعاه :
اذ قد اشرق عليهم نورك الساطـــع ضياه :
شملهم خوفاً عظيماً بامرك هـــذا معناه :
رحمة وعدلا سراً عظيماً خفى واعجبـــاه :

٤٩ ــ رحمة تعني عن عظم تناذلك لخلاص البشر : :
بفيض الانعام على كل الانام والنجاه من الشر :
عدلاً يرمز ظن وفا الدين الذي تقرر :
ونقمة تشمل من يخون الحب وبالجميل قد كفر :

٥٠ ــ يا من ارتضيت باتفاق السبح من النوريين :
والترابيين الرعـــاه المجـــاهدين الامينين :
تبشروا في ميلادك الجليل متال المـــاكين :
حاوي الاسرار مع اختفياه[1] العظيم بتيقين :

٥١ ــ يمجدون بتهليل ويوضحون للرعاة بمولود مخلص :
بتحريك فاعل جادب نفوسها بحب خالص :
بايمان فاعل كانوا الرعاه والعقل شاخص :
باندهالٍ عظيم كانه في لج بحر غايص :

٥٢ ــ يهتفون ممجدين عظمـــة عذتك الالهيـــة :
بتهليل عظيم يسرعون بالنشاط ببهجة شهيـــة :
ذاهبين باشواق عظيمة لكي يروا رب البرية :
باحترام بليغ مقدمين الهدايـــا الثمينيـــة :

٥٣ ــ وبسجود بليغ كانوا يقدمون كل هداياهم :
لامك البتول ولابن يوسف حسب ايمانهم :
الشريف الجليل وعظم اتقاد ونيران محبتهم :
باشواق عظيمة نحوك ايهـــا الطفل ربهم :

---

١) « اختفياه » اي « اختفائه » .

٥٤ — قد كانوا يرون بالفهم البليغ هية علية :
رهيبة جليلة سامية فايقة بالربوبية :
ويرون سموًا عالياً يسمو الفاهمية :
لا شبيهاً له بين الخلايق النطقية :

٥٥ — مع فاهمية وادراك عظيم بطفوليتك :
حاوية بالكمال بما يخص بطفل بسيط خليقتك :
وما يلم بالفاعلية بتناذل بمحبتك :
بهية[1] الاطفال البشريين كما شيت برحمتك :

٥٦ — كانوا بعجباً يخرون امامك بالخضوع ساجدين :
مسبحين ممجدين موقرين معظمين منشدين مادحين :
بما صنع الاله العالي العظيم خالق العالمين :
بما راوا وعاينوا وسمعوا وفهموا في ذلك الحين :

٥٧ — حب المليكة والرعيان بفهمهم والمشية :
كانا باتفاق معجب معدل بالفاعلية :
بخدمة المليكة حب[2] رتبتهم العلوية :
وانفعال بالخير نفوس الرعيان ثم البقية :

٥٨ — ونحن يا ابن الله فادي الخلايق البشرية :
نمدح نعظم نمجد نسجد للطفولية :
التي ارتضيتها لعذتك ربنا الالهية :
بتناذل عجيب وتودد عظيم يدهل البرية :

٥٩ — نسأل ربوبيتك يا يسوع الاله الودود حبيبنا :
شفاعة والدتك واليار يوسف شفيعنا :
ان تغفر خطايانا وترفع عنا ضيقنا :
وتسعف برحمتك وايدك العظيم المحسنين لنا :

---

١) « بهية » اي « بهيئة ».
٢) « حب » اي « حسب ».

٦٠ – ونيح الموتى المومنين في ملكوتك :
ثم امنحنا جهاداً قوياً فاعلاً بنعمتك :
بحفظ قوانينا وندورنا بالصدق بمحبتك :
لرضا عذتك وتمجيد قلبك وتتميم ارادتك :

٦١ – وانمي باتساع ودفق الخيرات الروحية :
رهبنة قلبك كنز الانعام الالهية :
واسعفها في الضروريات الجدية :
بتدبير عنايتك الابوية القدسية :

٦٢ – وانتي يا بتول يا والدة الله النقية :
الكاملة في نقاوت بتوليتك البهية :
الممدوحة بدوامها وهي لك معطية :
من جود ابنك الطفل النقي رب البرية :

٦٣ – عظيم ايمانك مع محبتك المتقدة :
الناعلية بنوع مستعجب مفاعيل مفردة :
مع الاتضاع المعمّق[1] الغني بانعام مسعدة :
باحتشام بليغ يعلن عن طهارتك الممجدة :

٦٤ – يا مار يوسف الامين بصداقة حقيقية :
مع يسوع الهنا الذي اغناك بنعم سنية :
وايمانك الحي الذي انبته باعمال[2] نقية :
بالعون العلي بجودة المشية وحسن النية :

٦٥ – اي بساطة قلب وذعة[3] وحب هو عال عظيم :
تملو انساً بشفقة وحلم هو سامٍ كريم :
نحو الطفل الالهي العالي الودود السليم :
وامه التي بالحب فاقة السارافيم :

---

١) هي دون شك كلمة « المسيق » .
٢) المراد طبعاً كلمة « باعمال » وقد نسي الناسخ حرف اللام .
٣) « وذعة » اي « ودعة » .

٦٦ – نمـــدحكما يا مريم البكر ملكة السما :
والبتول يوسف خطيبك الذي بـــالطهر قد سما :
ثم نعظمكم ونطلب بخشوع شفاعتكما :
لدى الهنـــا العظيم ليرحم جمعنـــا الموقركما :

– انتها –

تقال على وزن لتحوما[1]

تصنيف الام هنديه عجيمي موسة رهبنة قلب يسوع

١ — محبة ابينا[2] الله الهنـــا لا تدرك باتضاحهـــا لنـــا
بالرحمة والشفقة على جنسنا :
بميلاده الشريف العجيب اذهـــل وادهش بالترحيب
انعلويين ذوي النار واللهيب :
وفرح الانام الحزانـــا باحترام فيا قـــد اتانـــا
هليلويـــا اقبل التجانـــا :

٢ — بعزة عاليـــة اذليـــة ورهبـــة جليلـــة علوية
ضابط الكونين بقدرة الهية :
قد ظهرة في المذود وديعـــاً ظفلاً[3] فقيراً ووضيعاً
تحمل بايدي خليقتك متضعاً
اي املك البتول مريم لتغنينـــا بفيض الانعـــام
هليلويـــا اقبل التجانـــا :

٣ — سمـــا السماوات العليـــة هي من مجدك ممتليـــة
وصلاح كمـــالاتك الالهيـــة :
تعلـــن بتنعم ذاتك بسلطة عالية بجبرواتك
باعتزازه العظيم بتسامي قدرتك :
وبير ارادتك الجيـــدة وتقبـــل تماجيـــد حميدة
من النوريين في الخدور السعيدة :
معظماً يا الهنـــا يبرك ممـــدوحاً مكتفى بذاتك
هليلوليـــا اقبـــل التجانا :

---

١) هو لحن كهنوتي وترتيله.
٢) لفظة « ابينا » غير واضحة ، ولكن نظنها كذلك ؛ كما ان المدد ١ مفترض منا وهو ليس في النص.
٣) « ظفلاً » اي « طفلاً ».

٤ — ومع ذا تقبل اختفاً بحب مملو سخاً
لتعلى الانام افضل اعتلا :
اختفاك بمغارة صغيرة بين ابهايم حقيرة
جعلت المليكة بذا باعظم حيرة :
كنت ملاحظاً من البهايم بود وانس متناقم
بتناذل كريم راغباً الغنايم :
حباً واعتناً للبشر بسر ميلادك الافخر
هليلويا اقبل التجانا :

٥[1] — انت المتعالى وممدوح باتساعك الغير ممسوح
باري البرايا يك[2] كل خفي موضوح :
علة وجود مبراواتك مثبت الكونين في قدرتك
ضابط الجميع بحق عادل بحكمتك :
ومع ذا ارتضيت متناذلاً بارادتك تظهر طفلاً
هليلوليا اقبل التجانا :

٦ — تقبل لغايف مدرجاً بها بجدك الكامل بالبها
من البتول امك يا وحيد اعزلها :
باتضاعك الغير محدود وتناذلك فايق الحدود
الذي رايح بميلادك يا ودود
باستحقاقاته الفاعلة اغزرة النعم الكاملة
الالهية العظيمة العادلة :
بانفس الانقيا المومنين وافضت المواهب بيقين
هليلوليا اقبل التجانا :

٧ — بمحبة غنية كاملة بالرحمة للجميع شاملة
بحلم ابوي بالنفس العاملة :
متصف بصلاح اعلاً ودًا بصفح اجلاً
معطى الامان ومزيل سو البلا :

---

١) العدد ٥ وباقي الأعداد التي تليه ليست في الأصل .
٢) « يك » وهي « بك » .

وبجودة تفوق الافهـام باعتينـا بفيض الانعـام
هليلوليـا اقبل التجانـا :

٨ ـ اعطيت[1] السلام لابنا البشر بسر ميلادك الافخر
ورفعه دلم[2] من قبل دميم الشر:
بالسقطة ذات الاسية الملمـة بهم بالبلية
العمومية المكربة الشقية :
يا شرف المومنين عبيدك مطهراً نفوسهم بتاذلك[3]
هليلوليـا اقبل التجانا :

٩ ـ عظيم اندهالك يا مريم وابتهـاجك النقي السام
مع يوسف البتول خطيبك المعظم :
مـا تكلم بـه الرعـاه السدج محيـوا الله
بعضم مع بعض خطاباً بانقى كالصلاه:
حينما قـد دهبوا خـارجين من تلك المغـارة مدهشين
ممـا سمعوا بعجب مبهجين :
من الملاك السموي السعيـد المخبرهم سراً جـديد
بشارة مبهجة من الطفل المجيد :
وعما عـاينوا من العظايم اذ شا يكون بمدود البهايم
وديعاً سليماً متحنناً راحم :
نسالكما تشفعـا فينـا عنـد ابن الله قادينـا
هليلوليـا اقبل التجانـا :

١٠ ـ انت العظيم رب العـالمين ومجدك سما فهم القـاهمين
معظم بذاتك الى دهر الداهرين[4]
شيت تقبل من مليكتك ومن البتول مزيم والدتك
السبح والمديح وفي يوسف خليلك :

---

١) اي « اعطيت » .
٢) اي « ورفعت دلم » .
٣) اي « بتنازلك » .
٤) اي « الداهرين » .

فلهذا نسجد لك بخضوع ونعظمك باحترام وخشوع
ونسال حلمك يا مخلصنا يسوع
باستحقاقاتك اتضاعك وتناذلك العجيب بمدودك
وفيضان جودتك وتعاظم رحمتك
ان تغفر لنا خطايانا وتحسن الى المحسنين الينا
هليلوليا اقبل التجانا:

نشيد لطفولية يسوع ابن الله بميلاده المقدس
تصنيف الأم هنديه عجيمي الحلبية المارونية
موسسة رهبنة قلب يسوع الاقدس

المجد للاب والابن والروح القدس كما كـــان في البدو والان وعلى الدوام والى دهر الداهرين[1] .

ايها النور السرمدي الازلي المتسع بكمال لا يحد . العالي بجوهره . الغير المسـوح بطبعه . الذي ليس له ابتدا بفيده[2] الكامل بالحكمة : الذي لا يلحظ من الابصار المادية : الفاحص جميع خلايقه الفاهمة والناطقة . والضابضها بالقوة الفاعلة بالاقتدار . ارتضيت بتناذلك المملو حباً وحلماً تظهر طفلاً منظوراً محسوساً ملحاظاً بالملاحظ الحسية بمفاعيل طفوليتك المقدسة المظهر بها اتضاعك الكامل بالربح بانفس خلايقك البشرية .

ايها الجبار باقتدارك : والمعتز بجبروتك : والمتعظم برهبته المهيبة المفيضة الصلاح بالمجد : ترتضي ان ترى من خلايقك بطفوليتك بهية الاطفـــال بالاتصافات الملمة بهم : لانك اتخذت ناسوتك الاقدس بكلها يتصف به بالطبيعة البشرية ما عدا الخطية .

يا ايها المتعالى بقداستك الغير المتناهية : المخيف باوصافها الرهيبة : النار الاكلة التي لا تستطيع الافهام تحدق ابصارها بمفاعيل قداستك المتسعة الكاملة بكمالات غير متناهية وغير محدودة : اظهرت محبتك الغنية بطفوليتك بالانعام وبالجودة الغير المتناهية لكي تحمل خطايانا ، وتغفر اثامنا باستحقاقاتك الرابحة الغفران لمن يشا بالايمان بك :

ايها الطفل المملو سخاً جودياً بما لا يحدّ ، ومفيض الرحمـــة بالتحنن بالصفح التام على من يقبلها بامر[3] باختياره المعتوق وبالخضوع لاردتك المقدسة . ايها الطفل الكامل بالحكمة ، والمظهر وداعة ودية بالانس بمـــا يلم بالطفولية الانسانية المتصفة بجسدك البري القدوس .

---

١) الفواصل غير موجودة في النص ، حشرناها فيه لتسهيل قراءته .
٢) والمراد هنا « بنفسه » .
٣) كلمة « بامر » هي غير ثابتة لدينا .

يا من انت تفحص مدققاً بلاهوتك افهام جميع خلايقك الفاحصة والناطقة بعدل وبحق الاستقامة ، ترتضي بحب مبرر ظاهر به صفحاً تاماً كاملاً بالغفرانً ، وتريد تتغاضى برحمتك الفاحص بها الجميع عن خطايانا ، وترفعنا من سقطتنا المدلة لطبيعتنا باثم الخطية بالمخالفة ضد صلاحك ؛ وتدرف بلحظات مناظرك الحية دموعاً غزيرة باشواق متقدت بقلبك الاقدس ، بحب كامل ، لكي ينالون جميع خلايقك البشريين استحقاقاتك ؛ لتغنيهم بسر طفوليتك المقدسة ؛ ويكون لهم الربح بمحبتك لكي يستطيعوا يحبوك بخضوع ارادتهم .

يا شمس العدل الضابط الكونين بخرقك اياهما والغير ممسوع[1] منهما ابداً ؛ الذي لا تسعك خليقت من خلايقك . ولا تحصر منها ؛ المتعالي ببرك ؛ ارتضيت بسر طفوليتك ان تكون في مغارة صغيرة حقيرت ؛ وتجس من الخليقة ؛ يا ايها الطفل المتاله الكامل بلطافته المقدسة . وتضع على قليل من قوت البهايم[2] ، وتقات من ثدي والدتك الكلية الطهارة ؛ يا من تغيث كل حركة حاية بالجسد .

ايها الطفل المرهوب من افهام الميكه[3] الذين كانوا يسترون وجوههم من جلالك المتسع بالقداسة من قبل اتحاد لاهوتك بناسوتك ؛ يسجدون متهيبين لاوصاف جسدك المهيب بالجلاله تتلاحظ من البهايم باعتنا ، مظهرين ودًا لجسدك . يا لعلو ايضاح محبتك نحو الجنس البشري ، وانت متروك منسى من كثيرين ؛ ولا يعرف ودك الحلمي الذى اظهرته بالرحمة في مدود البهايم الا من قليلين من الانام .

يا ايها الطفل المتاله الظاهرة قداسته بالحكمة ؛ باذا افهام المليكة وروسايهم ، والمنفد بالصدور اتصافات حلمك المتعطف بالرحمة ، الملقي السلام بالجودة بالصفح والغفران مع منح الخيرات المنوعة لابنا البشر . يا من لا تساع السموات مجدك ، ولا يفهم من افهام جميع الخلايق تتعمك براحتك الدايمة بالتماجيد الصادرة من مجد كمالاتك . تشا بطفوليتك المقدسة بحس التالم المحيط جسدك المقدس باجزايه الكاملة البر كما يحيق بالاطفال بهية الطفولية ، لكي تمنح التبرير[4] بالايمان بك والقوة والتنور لمن يخضع

١) المراد هنا « مسوح » وهي كلمة مألوفة في قاموس هذه الصوتي .
٢) والمراد « البهايم » .
٣) اي « الملائكة » .
٤) اي « التبرير » .

لارادتك المقدسة ، ويربح من سر طفوليتك المقدسة الذي به تفيض انعاماً منوعة بفاعليتها باستحقاقات تجسدك : يا الهنا الذي يحق السجود والمجد والتسابيح لتناذلك بطفوليتك المقدسة .

ايها الاله الذي مظهر كمال عدلك بالحق بما هو علينا واجب ونستحق ظهور مفاعيله الرهبة بنا : المخيفة : المتسعة بالقوة ، ارتضيت ايها المظهر حبك : ببدك الابوي : ان تقبل بناسوتك : بسر طفوليتك : ما هو علينا بعدلك من قبل خطايانا . وتهان ايها الطفل المتاله : وتحتقر ، وتحس حساً مضاعفاً بصعوبات منوعة : بفهم كامل معجب ببهية طفوليتك . بالنوع الملم ببقية الاطفال : باتكال[1] تقدم الوفا لعدلك بناسوتك المقدس الذي لم تزل الملكية وروسايهم مندهلين به . متحيرين بافهامهم من ظهور سخائك بالرحمة وبتقدمة الوفا الموضح تبرير النفوس بالايمان بك .

الهنا لك المجد المديح ، ولتناذلك السجود ، لرحمتك الشكر ، ايها الطفل الممدوح بسطوته والمهيبة بحركاته المقدسة التي منها تنفد الانعام بالفاعلية بالانفس القابلتها وخاصة بنفس والدتك الكلية الطهارة والنقاوة : البتول الدايمة بتوليتها بقوه بر طفوليتك الكاملة بالقداسة بميلادك الرهيب الفاعل بالبار خطيبها يوسف الصديق الذي ذدته نقاوة وبرارة بانعامك المقدسة ، وظهر حبه وحب والدتك بالاضطرام والاندهال الفايق على افهامهم من اتصافات طفوليتك المقدسة الكاملة البر والحكمة ، المظهر بها نوراً مدهلاً عظيماً بماهيته الكاملة ، الذي كان باذا افهامهم المرتفعة بالابدهال[2] واشواق الحب اليك : مع السجود وتقدمة الشكر لاحساناتك المقدسة لصدور وداعتك الجاذبة القلوب بالحب اليك .

نسجد لطفوليتك : ربنا والهنا ، العالية باقنومك الالهي ، والمظهر بها التناذل الحلمي بالصفح برحمة متسعة بالتحنن . نسجد ونحب ونمدح سر طفوليتك[3] الذي اظهرت بها انساً مضماً بحب متاجج باشواق متسعة بقلبك المتعطش بامياله لارتداد جميع الخطاه اليك بالايمان بك : بالتوبة الحقيقية . نسجد لجسدك الذي ظهر ببهيئة الاطفال بنوع المسكنة والاختفا المهيب : وهو متسع بغناك الغير المدرك : العالي بكمالاتك ، المصدر منه

١) الكلمة غير ثابتة تماماً .
٢) المراد « بالاندهال » .
٣) « طفوليتك » .

كل رفعة وتوطى الى الخليقـــة بعدلك وبرحمتك . تسجد وتحب طفوليتك الجادبة القلوب بانفعال الحب الربحي ؛ باستحقاقاتك يا علـــة وخلاص خلايقك .

يا ايها الممدوح بكمالاتك باعتذاذك الذاتي بمحبتك السرمدية تظهر هذه المحبة المقدسة بطفوليتك الجادبة برحمةً لا تدرك . لكي تحب مـــن خلايقك وتكون لهم السعادة بمحبتك .

امنحنا ؛ الهنا ؛ باستحقاقات طفوليتك المحبة الصادقة في بغض الخطية والخضوع لارادتك المقدسة بالسلوك في الطريق الموصل اليك مشاهدة عزتك الالهية وكمال سر طفوليتك المرهوب .

ايها الحي بذاتك . المصدر كمال فهمك الجوهري بصورتك السرمدية الازلية الكاملة ؛ بالحكمة التي جعلت بغوامضها المقدسة صورة ناسوتك الجليلة باذا افهام المليكة التي حددت لهم بها بارادتك اوامرها العادلـــة الكاملة البر ؛ باذايهم ؛ واحجبت بغوامض حكمتك هيئت اوصـــاف جسدك الكاملة اتصافاته بالبر والقداسة عنهم ، واوضحت ؛ يا ايها الاله الواحد ؛ بسر ميلادك بتواضع متسع بالرحمة اوصاف جسدك المتاله الجادب بهيئة كاملة القلوب ؛ ايضاحاً عظيماً لسيدتنا مريم العذرا الكلية القداسة ؛ ولماري يوسف خطيبها البار والرعيان البسيطين بفيض انعامك المقدسة لهم بوداعة وحلم لا يحد . عظيم هو حبك الفائض باحكامله[1] لابنا البشر ؛ وخاصة لمن كان بالـــداجة متصفاً وخالياً من الخبث المعيب .

يا من يصدور صورتك الكاملة الحكمة باتحد ؛ ليس فـــا ابتدا وبدايعة بصورة تماجيدها المتسعة بالكمالات الغير المحدودة . يا من لا تحد ولا تدرك بابداعك الكونين[2] بالخلقة ، وتحد يدك الازمنة المظهر بهـــا احكامك الغامضة والظاهرة بارادتك المملوة حقاً وعدلاً ؛ وبهذه الارادة المقدسة تريد بتعطف متســـع بالرحمة ويكون ابتدا بزمن لميلادك المقدس بظهور ناسوتك بالجسد الذي عينته بالمحبة لتكون كفيلاً لجنس البشري ، وتقدم الوفا التام باسرار حياتك المقدسة .

السبح لمحبتك والمجد لمفاعيلها والمديح لتاثيراتها القوية الفاعلة بالنفوس ،

---

١) المقصود طبعاً هو كلمة « باحكامه » .
٢) « الكونين » .

السجود لارادتك وبرها المتسع بفيض المواهب بالجودة لابنا البشر . لك المجد بمفاعيل رحمتك وعدلك دايماً امين .

باستحقاقات طفوليتك الموضحة استقامة تبرير النفوس ؛ ارحم المؤمنين المعديين في النيران المطهرية ؛ واعطيهم الراحة الدايمة والتمتع بالمشاهدة لذاتك الالهية . ايها الطفل المتقد والفادي النفوس ؛ امنح للمحسنين الينا ما هو ضروري لخلاصهم . ولقيام اجسادهم . اعطى التوبة الحقيقية للخطاة لكي يرجعوا اليك باستقامة توبتهم . نجي وانتشل الانفس الفارقة بالعوايد السيئة واعطهم المعونة لتحريك قلوبهم لبغضها . امنح يا الهنا القوة والعافية لجميع المستومين بالامراض والتجاريب المنوعة الملمة بهم . نجهم لكي يعبدوك عباده حقيقية بالمحبة لك . قت الجياع . اكفني المحتاجين . عول الارامل والايتام بعنايتك الابوية . امنح المعونة والقوة للسالكين بحفظ قوانينهم ودورهم . نجهم من التجاريب المضرة . صن رهبنة قلبك الاقدس من كل مضرة . وانصرها على اعدايها المنظورين والغير المنظورين ؛ انت الذي تحيي وتملك مع ابنك[1] وروحك القدوس الى دهر الداهرين امين .

---

١) هكذا : « مع ابنك » ، والاصح « مع ابيك » لان الصلاة موجهة الى المسيح .

نشيد ختانة سيدنا يسوع المسيح المقدسة ولاسمه القدوس
تصنيف الام هنديه عجيمي الحلبية المارونية موسسة رهبنة قلب يسوع

المجد للاب والابن والاوح[1] القدس كما في البدء والان وعلى الدوام والى اذهر الداهرين امين .

يا شمس البر الغير المحدود بعلو كماله : ايها القدس العالي بكمالاته : ايها الاله الغير المفهوم طبعه : يا من لا تزال مسبحاً ومجداً : بتقدمة التقديسات من الارواح النوارنية التي لا تستطيع ان تحدق ابصارهن بافهامهن : باتساع قداستك الرهيبة : التي بها تراك نوراً وناراً متقدة بحركتيك الواحدة الكاملة الجباروت : المعتزة بسطوتك بها المهيبت بالاقتدار.

ايها الاله المتعالي بكمال[2] صلاحك والممدوح بصفاته المقدسة والمتعظم باتصافاته الكاملة التي لا تفهم من خليقته : يا من عليت ناسوتك الاقدس باقنومك الالهي وجعلته كاملاً ببرك : ومتصفاً بكمال قداستك . وممدوحاً باتصافاته البشرية بصلاحك الغير المحدود :

يا من جعلت لا تحد مفاعيل قداسة ناسوتك الكامل ببرك باتحاد لاهوتك به ارتضي الهنا بسر ختانتك المقدسة التي كافة اجزاء جسدك متصفة بالبر والقداسة بكمالك الواحد ان تظهر تواضعك الذي يواذي علو ناسوتك الذي اقته باقنومك الالهي قياماً واحداً دايماً بديمومتك التي لا يعتريها تغيير ولا يدخل عليها عرض ابداً : توضح بحكمتك محبتك للجنس البشري بسر ختانتك بالتناذل الغير المدرك الذي تندهل الملايكة وروسايهم متحيرين بظهور رحمتك نحو خلاص الجنس البشري بسر ختانتك الكاملت البر :

ارتضيت الهنا الممدوح ان تاخذ ما هو للتطهير بالختانة بسر ختانتك المقدست الكاملة البر والمتسعة بالطهارة بالتبرير والانقاذ : يا من ظهور تواضعك بهذا السر يجب له السجود ويليق له المديح ويجذب اليك القلوب :

ايها الحمل الصالح القدوس الذي بسر ختانتك اعطيت عربوناً كريماً ثميناً كاملاً بالنقاوة : ممدوحاً بالطهارة من دمك العندمي المهرق من ختانتك

---

١) طبعاً المقصود « الروح » .
٢) اي « بكمال » .

المقدسة المتصفة بالكمال الغير المحدود : كما هو لك بكافة اجزاء جسدك وتركيبه المقدس بكمالك الواحد الغير المفهوم من فهم مخلوق :

تظهر بحلمك كريماً وبودك انيساً : وبمحبة متسعة بالوداعة فايقة الادراك برحمة مملوة تحنناً ومحيطة باشفاق ابوي تسفك من دمك بختانتك الكاملة القداسة بحس التالم المضيق كافة اجزا جسدك الكلي البراءة والعالي بالبر الغير المتناهي : وتجول بمناظرك المقدسة بحركتها النقية بدرف الدموع الغزيرة : مميز بفهمك المقدس بعرب كل خطايا كل انسان باقنومه البشري :

يا مجيداً بفهمك البشري المرتفع بحكمتك الالهية الغامضة بتفاعيلها المقدسة تقدم عربوناً كاملاً بالصفح عن كل انسان : وتريد ان تكون لجميع خلايقك باستحقاقاتك ثمن هذا العربون الذي لا يوازيه ثمن ولا يفهم بقوة فاعليته بدحض الخطايا وغفرانها لمن يريد ان ينال ولمن هو مستقيم بالايمان بك : يا من ليس باذا فهمك الالهي عرباً وتمييزاً : لان حقيقة جميع افعال خلايقك هي باذا فهمك حاضرة وليس لها تقدم وتاخر بالزمن اردت بفهم ناسوتك المقدس بطفوليتك المقدسة المحجوب والظاهر باعين خلايقك ان تتالم بسر ختانتك البرية لاجل خطايا كل انسان بافراد اقانيمهم : وتعطي لكل منهم عربوناً كاملاً بالصفح .

عظيم هو سر ختانتك متقدس مبرر نقي مانح صفحاً بتحنن ودي لا يدرك . المجد لك بثباوة دمك العندمي وبقوة فاعليته باتساع الربح الذي به يا من لا تزال كريماً نحو الجنس البشري : ومتصفاً بمنح الانعام والعطايا المنوعة من ناسوتك الاقدس وبه : مجيداً بصدور الاستحقاقات منه :

يا لعظم ماهية ظهور حزنك المقدس بسر ختانتك بالتفاتك بدرف الدموع الغزيرة نحو والدتك البتول الكلية النقاوة مظهراً لها تألمك بحركة جسدك المقدس مع هيئة رضاك باقتبالك بسر ختانتك المتالم من جراها بود مملو حلماً :

المجد لك بفرحك وحزنك معاً في هذا السر المقدس المانح به العربون لخلاص الجنس البشري وباندهال سيدتنا مريم العذرا وماري يوسف الكلي الوداعة ومن كان حاضراً بهذا السر الطاهر المذهل : مما ظهر منه نافذاً في جسدك المقدس بالصدور المدهل الغير الاعتيادي في هيئة الاطفال بالنقاوتك[1] المظهر به سطوة وهيئة الفحص بحكمة لمن كان يختنك : ورفع

١) « بالنقاوتك » ؛ وقد زيدت عليها الواو ؛ والمقصود دون شك هو كلمة « بالتفاتك » كما يظهر من المعنى .

مناظرك الجليلتين الى السما بهيئة التوسل باعطا الصفح الكاين بـــه السلام واستعطاف الرضا على الجنس البشري : لانه فعل بسفك دمك يا ابن الله هو ابتدا رحض الخطايا وحس ناسوتك الاقدس بثقل خطايا كل انسان الذي قدمت عنه الوفا : مع ان نقطه واحدة منه كافيـــة بالاستحقاقات والغفران لجميع الجنس البشري :

ايها المتصف بالحكمة الظاهرة مفاعيلها الغامضة والظاهرة منها ما تشا بتدبير عنايتك المقدسة وبفيض بر ارادتك الصالحة نحو خلاص الجنس البشري ايها المتسع بالرحة[1] المانح للفهم البشري بسر خوانتك ماهية ضيقة الباب للخلاص : بعربون دمك المنسفك بالحكمة والعدل والرحمـــة بجودة لا تحد : والمنير تعقل الفاهمية الانسانية بالطريق المستقيم بالايمان بك .

يا ايها المُوعَد به من الاباء والانبيا والذين سبقوا مجيك بالجسد الى العالم . يا علة ارتداد افراح الطبيعة البشرية بالايمان بك . يا انتهاض واصل ارتفاع الجنس البشري من السقطة المتوطه طبيعتهم والمهانت منها :

يا ايها المانح ما يصلح قوى النفس ويجعل قوة للقبول بما يختص محبتك ويضاد ميل الجسد الى ما هو هيولى ومختص بانفعال الحب الذاتي المعيق حبك النقي المرتفع بهيئه لما هو روحي ولتمجيدك :

عظيمٌ هو الربح من ثمن العربون المتقدم لاجل خلاص الجنس البشري ! وقوى بمفاعيله الموترة بالنفوس القابلتها : يا ايها المتعالى بحكمتك ومظهر تناذلك بحلم ووداعة وانس متسع باشواق متحننا بتصفات[2] قلبك الاقدس بسر ختانتك وبماهية قوة مفاعيل سفك دمك الثمين بهذا السر المدعل الملكية الذين يرونك :

يا مجيداً مسبحاً بكمالاتك للغير المتناهية : معتزاً بمجد عرشك الرهيب الظاهر به سطوة اعتزازك وتسلطك القادر به والضابط الجميع بقوتك المطلقة الغير المحجوزة من خليقة من الخلايق : ولا تصد بمفاعيلها ابداً . يرونك بناسوتك حليماً حملاً وديعاً بجسدك بهية الاطفال مضبوطـــاً من خلايقك وقابل فاعلية الختان وتحس بماهية اله المضيم المضيق على كافة اجزا جسدك المقدس مع تالم قلبك واحزانه وفيض التعطفات بالحلم والاشواق لكي يكون

---

١) وهي طبعاً « بالرحة ».
٢) اي « باتصافات ».

الانقاذ لجميع الجنس البشري ويكون هذا العربون من دمك المنسفك بسر ختانتك لغفران الخطايا ولافادة جميع الانفس ولتطهيرهم ولتنوير الافهام لكيما يكون لهم السعادت بك ومنك باخلاص الجنس البشري: يا ايها المنقذ الصفوح المتعطف بالرحمة اتريد ان تفتح كنوز رحمتك بسر محبتك بسفك دمك. مجيد هو انفعالك باشواق المحبة وباشا منح الانعام للجميع:

يا من لا تدعى باسم يختص بالانسان بوجودة بالجسد كالعادة بل كان اسمك المقدس يسوع الجليل بالمعاني ارسلت هذا الاسم العالي بحكمتك مع جبرايل رئيس الملايكة بخضوع وتجود منه ومدهل وغير منهوم كما هو الى سيدتنا مريم العذرا: ارسلت قوة الاسم المتكنى باسوتك الاقدس به مع الملاك قبل انْ تكونه بالجسد وتخلق ماهية النفس المقدسة وتتحدها به: لان لم يدع اسم يسوع المتكنى به ناسوتك الاقدس الا من بعدما اظهرت اتساع محبتك نحو الجنس البشري بسر تجسدك. السجود الاسمك[1] الذي لا يتكنى به اقنوم انساني بل يتكنى بانسان رافعه العلو الاقنوم الثاني بالقيام الواحد باتحاد لاهوتك به. يا لعلو اسمك المقدس اي يسوع الذي ما تصف[2] به ناسوتك بالتكنية الا من بعد ما اتحدت لاهوتك واقنه باقنومك الالهي:

مرهوبٌ اذًا اسمك يا يسوع. مقدس هو اسمك المبرر من يومن به ممدوح هو اسمك يا يسوع لان اظهرت هية قوته ومفاعيلـه المقدسة بسر ختانتك وباعطا العربون الثمين من دمك الطاهر المانح به غفران الخطايا:

مباركة تلك الدقيقة ومسجود لك بها من جميع الخلايق انك ظهرت باسم يسوع بالجسد. الاسم المملو اسرارًا الاسم الذي عليته باسمك الحي الواحد امجد لك بسجود الميلك في تلك الدقيقة بالتهيب والاوقار لاسمك الحي الذي ليس له بداية برهبة. وليس له نهاية بعلو فاعليته.

امجد لظهور بر ارادتك في ماهية مفاعيل اسمك يا يسوع المخيف قوات الجحيم والمزعزع اساسات جهنم من ارتجاف الشياطين والهالكين من قبل خزيهم الملم بهم من اسم ناسوتك المقدس من غير ان يعلموا ما هو اسمك الاقدس المفتقد المخلص الفادي الرابح العطايا المقدسة المانح بـه عربون الخلاص. اسمك المقدس يسوع الكلي الافراح الراعي القايد، الحمـل الوديع المملو اتصافات الصلاح: لانه مرتفع باسم علة الافراح.

---

١) اي «الى اسمك».
٢) اي «ما اتصف».

اسمك يا يسوع المملو بالاتساع عذوبات النقاوة لمن يحوى محبته بالايمان بك وتحمل معونته الفاعلة بالانقاد المانحة الاسعاف . اسمك طيب مركب من مناعيل محبتك الالهية من ظهور بر ارادتك الصالحة نحو خلاص الجنس البشري .

اسمك الذي به عتقنا من شر الخطية الاصلية يا ابن الله الحي . اسمك المملو اسرارًا الذي له تسجد كل ركبة من في السما ومن على الارض ومن تحت الارض .

باسمك يا يسوع يا ديان ومنقذ معاً يعترف كل انسان . لانك اله حق وانسان تام .

اسمك يعطي النداله والفرح لمحبك . وايضاً يعطي الحزن والارتجاف بالخوف لاعدايك ومغضبيك[1] . لان بالعربون المقدس المسفوك من دم ختانتك دعيت باسم يسوع اي منقذ مخلص وديان عادل . السجود لسفك دمك بالختانة نقطة فنقطه الطاهر الكامل البر .

السجود لماهية حروف اسمك يا يسوع وهية نقطه[2] الذي تحوي ماهية كونه اي يسوع فاعليته عظيمة قوية تنفعل بها الابرار والاخيار بعدلك وبرحمتك . ممدوح ومعتز ربنا والهنا بثمن دم ختانتك وباسمك الذي تكنى به ناسوتك بهذا السر العظيم . لان لم تظهر هية مجراه بكيانه من الانام وبهم باتصاف ناسوتك الاقدس به الا بسفك دمك بالام ختانتك المقدسة المقدسة يا مخلص العالم باستحقاقاتك الغير المتناهية .

مرهوبٌ هو اسمك الاقدس يسوع الذي تخافه قوات السما والارواح النورانية لاجل ارتفاعه بعلو لا يحدّ . ان كان يمكن لخليقة ان تدرك عظمة اتحاد لاهوتك بناسوتك يمكن ان تفهم عظمة اسمك الفعال اي يسوع الغافر الخطايا ، يسوع مانح السلام ، يسوع المنتظر ، يسوع الناصر الانفس . يسوع المضمد الجراحات النفسانية ، يسوع المقوي الضعف لمن كان يؤمن به : يسوع الذي به يمنح الراحة لمن يلتجي اليه بالامانة ينال به الانتصار والنجاة .

ايها الاسم العطري الذي منه تنبثد هية العذوبة النقية : التي تعطي لذت لقلوب الاطهار . ايها الاسم المعتنق من انفس العذارى بحب الطهارة .

---

١) طبعاً هي كلمة « ومبغضيك » .
٢) اي « وهيئة نقطه » .

ايها الاسم الناريني الحامل المقيد القلب بقوة مفاعيله لمحبتك والمفيض الى الحظوى بك .

الهنا الذي جعلت باسمك الاقدس اي يسوع اسرارًا محتوية بـه غامضة ومكتومة عن الذين لا يريدون اغتصان[1] الذات في الطريق الموصلة اليك ويكرهون مادات الصبر بردلهم لها بما يخص الخلاص الذي جعلته يقوم بالعمل به وتظهر من الاوصاف المذكورة الغامضة لمن تشا وبمقدار ما تشا الذي يخضع باختيارد المعتوق باغتصاب الذات باحتمال بالجهاد الالم امحري مادات الصبر .

لان اسمك الاقدس ظهرت هيته بالفاعلية بتكي ناسوتك المقدس به بسفك دمك الثمين بختانتك المتسعة برارة : ومانح منبـا التطهير بالالام الغزيرة بالفاعلية بجسدك الكلي اللطافة والنقاوة .

المجد لاسمك النقي الطاهر القوي الفاعلية : والمجد لك الهنا بتاذلك وبصيرورتك انساناً وبتقدمة الوفا بحياتك المقدسة وباسرارها المحتوية به .

يا ايها الاسم العذب ، يا ايها الاسم المفيض الصفح والغفران ، السجود لك ربنا يسوع وفادي جنسنا . السجود لارتضايك الفعلي باسمك الاقدس اي يسوع الذي به تنقاد انفس المومنين بك بالايمان باسرار تجسدك وحياتك المقدسة والامك المحيية وبه تخاف الخطاة بحصول الحزن والكآبة لقلوبهم ونفوسهم من الكرب الذي يلحقهم بضيقة تعب ضمايرهم .

المجد لك ايها الاسم الممدوح والمتعظم والمعتز بهولة رهبته فاعلية من قبل علوه القايم بالاقنوم الثاني . لك المجد ربنا والهنـا بفاعيل اسمك وبقوة تاتيرة[2] الفاعلة دعماً بعدلك وبرحمتك .

ايها الاسم المهيب بجلالته بالسطوة الرهيبة المنفذة من هية ما يخص مجرى الدينونة لجميع الانام .

ايها الاسم الذي يعطي خواصاً للنفس من استحقاقات سر ختانتك المقدست الدالة بالامان لمن امنوا بك بايمان مستقيم وتعطي ايضاً ارتجافاً وخوفاً بالحزن لمن رذل الايمان بك بالمفاعيل المختصة بسر العربون لانقاد النفوس .

---

١) هي كلمة « اغتصاب » .
٢) أي « تاثيره » .

السجود لقوة مفاعيل اسمك يا يسوع . نسالك باستحقاقات سر ختانتك وبحق اسمك المتسع بمفاعيل العدل والرحمة ان تمنحنا غفران خطايانا وتصفح عنا برحمتك الغير المتناهية : امنحنا الهنا ان نومن باسمك ايماناً فاعلاً وتنجي نفوسنا من شر الخطية واثمها القبيح .

امنح يا يسوع ربنا الراحة لجميع نفوس المومنين المعدنين[1] من النيران المطهرية : انقدهم من عذباتهم ارحهم لكي يشاهدوك براحتك الدايمة يا نعيم نفوسهم .

ارفع الهنا شان كنيستك المقدسة : وايد حبرها الاعظم : وصن روساها الامينين باتعامك المقدسة . انصر الملوك المومنين على اعدايهم بالايمان بك : ونجهم لكي يكونوا ناجحين وثابتين برضايك العظيم .

انقذ ربنا والهنا المتضايقين من ضيقاتهم . امنحهم النجاة من تجاربهم المضرة للخلاص .

اشفي المرضى اعن الفترا امنحهم احتياجاتهم . اعتن بهم الهنا الحنون الشفوق اعن من يلتجي اليك بالايمان :

صن الهنا رهبنة قلبك ونجها من التجاريب والمضادات المضرة اجعلها منصورت باسمك . لانه اسمك يسوع الناصري فينصر من يتمسك به بالامانة : ويستعين به بالرجا ليكون اسمك مباركاً ومجداً وممدوحاً ومعظماً دياً والى الابد .

ليكن اسمك يا الهنا حافظاً لنا من جميع المضراة التي تاخرنا عن قبول مفاعيل محبتك بشفاعة سيدتنا مريم العدرا الكلية القداسة وماري يوسف خطيبها البتول امين .

---

١) هي كلمة « المعذبين » .

نشيد لاعتماد سيدنا يسوع المسيح
تصنيف الام هنديه عجيمي موسسة رهبنة قلب يسوع الاقدس

المجد للاب والابن والروح القدس كما كان في البدء والان وعلى الدوام والى دهر الداهرين امين .

يا ايها الحكمة الاذية والظاهر مفاعيلها بصلاح البر الغير المتناهي : ايها المتعال بقداسته المتسعة بالصلاح الغير المحدود بظهور مفاعيلها المقدسة . المانح بها القداسة ببر ارادتك خلايقك الناهمة والناطقة . يـا من بجوهره لا يضبط ولا يحس ولا يخرق من الخليقة الخراقة . بل هو يخرق الجميـع ويضبطهم ضبطاً بحكمة لا تحد :

ايها النور العلي بصورته والغير المفهوم بصدور مجده الدايم . ارتضي ربنا الهنا تظهر بالجسد من بعد اختفايك به حاجباً ظهوره بغوامض حكمتك الغير المفهومت بخضوع يواذي سمو عظمة اتحاد لاهوتك بناسوتك الذي لا يعقبه التغيير . الدايم بكمالك الالهي وتظهر من بعد اختفايك المقدس وداعتك نحو والدتك الكلية الطهارة كانسان بسيط مظهراً تواضعاً لا يحد ولا يدرك بفاعليته باذا الجميع الكاين في ذلك المكان اي نهر الاردن المعين باحكامك الغامضة ليوحنا سابقتك الذي بعزتك يـا ابن الله الحي وانت مختفي في حشا والدتك الكلي الطهارة عظمته وطهرته وانقدته من الخطيـة الاصلية وجعلت تمود بالحشا اعظم من مواليد النسا ولم يدرك احسانك وتبريرك اياه :

فارتضيت يا ايها القدوس والمانح لمن تشا بحكمتك ان تتقدم الى يوحنا بصيغة انسان بسيط كانك تحتاج الى الاعتماد منه كبقية الذين يعتمدون منه لمغفرة الخطايا بتميم حدود التوبة .

يا لاتساع قداستك الغير المتناهيـة ومفاعيلها . الهنا بناسوتك الذي رفعت قيامه وعليته ببرك الالهي تظهر به كانك محتاج الى الاعتماد باذا اعين الحاضرين . وتظهر وداعة لماري يوحنا . وخضوعاً مبرراً ومنجياً للانام لكي تنال الاعتماد منه .

المجد لحلمك الودي الكامل الصفح حينما امتنع هو يوحنا عن انـه

يفعل ما هو مختص بهيبة الاعتماد . قلت له دع لتكمل كل البر : حتى هذه الكلمة الصادقة الكاملة بالقوة بمفاعيلها : لانها صديرة من فمك الاقدس :

يا ايها الحكمة الظاهرة صورتك الازلية بالمجد : الانك انت هو البر وانت هو كماله : ومنك تصدر مفاعيلـه بكمال يواذي اعمالك المقدسة بناسوتك الذي عليته باقنومك الاخي وجعلت به صورة كاملت باتصافات برك الاخي وظهرت مفاعيله باعتمادك المقدس بجودتك الغير المتناهية نحو الجنس البشري بسر اعتمادك المقدس الانفس والمانح البرارة لها والمقوي قواها الروحية : والمانح ايضاً بهذا السر الذي اعنيت عنه بقولك اننا نكمل كل البر سر المعمودية المقدس .

لك المجد اذا : اعنيت بقولك العزيز اننا نكمل كل البر بسر المعمودية الحاوي بجوهر فاعليته الثلثة الاقانيم بالوحدانية التي لا تحد بفاعلية مخلوق كالها الجوهري . المجد لفوامض حكمتك بسر اعتمادك المقدس .

المجد لظهور هيبة الجلالة بجسدك الاقدس المملوة اوقاراً باعتزاز حينما امتنع يوحنا بتهيبه منك واحترامه من ظهور سطوتك المتصفة بالحكمة والمحيطة بجسدك المقدس : فقال لك انا المحتاج ان اعتمد منك . لانـه فهم يفهم متنور منك . ولو انك برزته من الخشا من الخطية الاصلية وعظمته بهذا على بقية مواليد النسا . لم يزل يحتاج الى برك دايماً المقدس . لانه متعلق تبريره به ومحتاج الى قوة صونه المقدس .

المجد لك ربنا والهنا الكاملة بحكمتك والعالي بالقداسة في اندهال يوحنا بما ظهر له من ناسوتك الجليل مقدار ما شيت من تواضعك الذي ادهل الملئكة وجعلهم بسجودهم لك يمدحون تناذلك الغير المحدود بسر اعتمادك الرافع به الجنس البشري المتوطى بالسقطة والمبرر لمن يشا بالايمان بك وبقوة سر اعتمادك المقدس . المجد لك يا ايها المزين المياه بقبضتك : حينما ظهرت هيئة فاعلية الاعتماد من يوحنا سابقك . اعطت المياه بحركتها الطبيعية هيئة الارتعاد بامواجها بارتدادها[1] بالاضطراب واعطت صواتها[2] بنوع غير لاعتيادي لاجل انفعالها من رهبتك يا ضابطها ومجري امواجها بحركتهـا الطبيعية يا محدد حدّها السفلية بصورتها المصونة من قدرتك : لان اذا لك المجد انفعلت المياه واعطت اصواتها بالدوي من فاعلية اعتمادك المقدس المياه .

---

١) اي « بارتدادها » .
٢) اي « اصواتها » .

ايها المقدس المياد بسر اعتمادك المدهل : الذي كان يحوي هذا السر المنقذ من غوامض حكمتك بالصدور بالقوة بناسوتك الاقدس حينما انفعل بالانحنا المبرر صدرة قوة متسعة لقابلية الانفس الناطقة لكيما يقبلون سر الاعتماد المقدس الذي اجعلته قايم جوهره بالما وبالاسم الحاوي الثلثة الاقانيم بالوحدانية الواحدة التي تعني للخليقة بالايمان بالاله الواحد فقط .

يا من رفعت ناسوتك الاقدس وعليته باقنومك الالهي على كلما يرى وما لا يرى جعلت صورته الرهيبة تستبان باذًا اعين الحاضرين سر اعتمادك المقدس بخضوع وانحنا بسطوة فاعلة بهم وخاصة بيوحنا حينما رفع يده متعالياً ما فوق هامتك الجليل المقدس بفاعليته ماهية العماد .

واتى بقوة ذاك الصوت المجيد الفاعل بالاقتدار قايلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت : مع صورة تلك الحمامة التي انحدرت عليك يا ايها المالك للبر والعالي بالقداسة . الذي غير ممكن ان يكون لمجدها انقطاع ولا لروحك الاقدس انفصال ولا لظهور كمال صورتك انفصال بذاتك الكاملة بحركتها الواحدة . ايها الاله الحق بمفاعيله الكاملة والمظهر بسر اعتمادك المقدس بناسوتك الكامل بكمال اتحاد لاهوتك به . ارتضي ايها العالي بالحكمة الغير المتناهية ان يظهر الروح بشبه حمامة بصورة مملوة اسرارًا من غوامض حكمتك : التي اعنيت منها لماري يوحنا سابقك لكيما يتحقق بعلامة واضحة حركة الحمامة الفاعلة بكمال صفات مدحلة مع الصوت الرهيب المحقق له انك انت هو المسيح المنتظر بناسوتك الاقدس : الذي في ذلك الحين تحقق انك حمل الله الرافع خطايا العالم .

فمن بعد ما تم صنيع عمادك السري المقدس المبرر المنقي الذي به استحقاقات غير متناهية وغير محدودة من تواضعك الكامله الرابح لمن يومن بك . سجد يوحنا منبهياً امام جسدك الاقدس . ربنا لك المجد في اندهال الحاضرين والناظرين ما كان بهذا السر العظم[1] بمقدار ما شيته .

المجد لك في خضوع يوحنا امامك بمعرفة ذاته. لاجل انفصال نفسه من الاسرار التي اطلع عليها بفهمه المتنور منك بمقدار ما شيت بانفصال قلبه من المحبة المضرمة نحوك يا علة وخلاصه من الصوت المقدس الذي به جعله متيقناً بحق انك انت ابن الله الحي .

---

١) طبعاً هي « العظيم » .

عظيم هو سر اعتمادك وقوي بفاعليته ومنير وجاذب القلب لمحبتك من تواضعك الغير محدود : مع ظهور قوتك وقدرتك بالفاعلية علانية .

امجد لاحكامك المخيفة المكتومة والظاهرة معاً في حين فاعليتها علانية باذا خلايقك الناطقة الذين كانوا معاينين سر اعتمادك المقدس .

يا ايها العظيم والمرهوب باسرارك الالهية المقدسة التي جعلتها اهنا محتوية بناسوتك النقي وحاوية اياه من مظهرها بالحكمة .

امجد لك ربنا بناسوتك الاقدس البري المبرر : مصدر الطهارة : وعلة الانقاذ : الذي جعلت ماري يوحنا مديباً باشواقه الى محبة : وجعلته يصرح باشواق حارة علانية بانك انت مخلص العالم : انت النور الاتي بناسوتك. بحكمتك تعرف خلايقك طريق السما وسعادة الملكوت بكراذتك وتعليمك الذي به توضح الحقايق المختصة بالمحبة لك : وبالرذل لما هو معيق لمحبتك وعبادتك الالتزامية على كل خليقة ناطقة : يا اصل كيانها الطبيعي يا علة وجودها : يا استمرار كيانها الفاعل بمجراه الطبيعي بتعلقها بك .

يا لغنا مفاعيل محبتك الجاذبة الخليقة الناطقة بالمحبة اليك . يا من لا يوجد كيان الحب بها الا منك . وجعلت كيانه له فاعلية المحبة بالخليقة الناطقة وترتضي بارتضايك المتسع بالتواضع تظهر هية عظمة الفاعلية بتميل الخليقة الناطقة لمحبتك بالصوت الذي يعلن هذا هو ابني الحبيب . هذا هو الذي تحق له المحبة من جميع الانفس الناطقة .

هذا هو اللايق له بالحق ان تعي القلوب البشرية محبته لانه هو اصل تجري المحبة الصادقة الكاملة بالتفرد بالخليقة الناطقة والمتصفة بالقوة بير استحقاقات غير متناهية من ظهورة التواضع المتفذة من فاعلية سر الاعتماد المقدس .

هذا هو سروري الجوهري الكاين بكمال مجدي المتسع بغير ابتدا ولا انتها .

هذا هو صورتي السرمدية الازلية وشعاع مجدي .

هذا هو يصدر كمال حكمتي المتصفة اتصافا جوهرياً باوصاف محبتي بانبثاق روحي من مبدا واحد بغير انفصال ولا انقطاع بـه متسع حبي الجوهري وفهمي الغير المحدود يصدر بروحي كمال اتساع محبتي بمجدي الغير المحدود .

هذا هو به احبيت العالم وارسلته لظهور فاعلية محبتي بسر التجسد بمجيه الى العالم بفعل روحي القدوس .

هذا هو ابني الحبيب المظهر به بمجيه بارساله متجسداً رحمة لا تحد بر ارادتي المقدسة ليكون وجود المحبة الحقيقية اتصافاً جوهرياً باستحقاقاته الغير المتناهية في الطبيعة البشرية : ولكي توجد مادة نقية روحية للقلوب البشرية وتنفعل بمحبتي ويكون كيان الحب البشري متصلاً الي بابني الحبيب الذي به سررت . وسرتي وهو ظهور سروري الجوهري . بمجدي الغير[1] المحدود باذاً افهام خلايقي وبالآ واح النورانية .

وبه ظهرت قوتي بكيان العالم وفيه كون العالمين .

وبه ظهرت قوة مفاعيل حكمتي وماهية كل صورة مخلوقة فاهمة وناطقة محسوسة وغير حساسة .

وبه اظهرت مجدي ومفاعيل قوتي باذا الخليقة الفاهمة والارواح النورية .

وبه اظهرت قدرتي بمفاعيلها بنظام العالم . واظهرت مفاعيل محبتي نحو الجنس البشري منذ ايجادي اياه بالخلقة بحكمتي الغير المتناهية وبظهور بر ارادتي . وباتصاف الطبيعة البشرية بالانسان الاول بالبر الاصلي بفيض جودتي مجاناً .

وبه اظهرت بر محبتي بروحي القدوس بصورة الحمامة الفاعلة صفات محبتي الكاملة نحو الخليقة الناطقة فاعلية اتضاع حبيبي الذي به سررت لكي يكون سر تمادة الربحي مادة روحية ذات قوة فاعلة بالقابلية للانفس واستعداداً قابلاً لاقتبال سر المعمودية لتبرير الانفس وتقديسها باستحقاقاته الغير المتناهية بصفات الحمامة المتسمت خواصاً روحية وبها صفات النقاوة المنفذت بالصدور من سروري وبالناسوت الذي به ينفذ سروري بمحبتي الفاعلة نحو الجنس البشري باتحاد لاهوتي الغير المنقسم ولا متجزي بجوهره العالي .

يا ايتها المحبة الالهية ما اعلا عظمة مفاعيلك نحو الجنس البشري . عظيمة هي قوة تاثيرك الفاعل بالخليقة[2] الناطقة .

ايها الاله الذي اظهرت قوة محبتك بايجادك الانسان الاول . مع بر

---

١) طبعاً المقصود كلمة « الغير » .
٢) المقصود هنا « بالخليقة » .

ارادتك المقدسة في كونه اذا نفس ناطقة وجسد مركب . وجعلت منتهاً بالمحبة الروحية التي بها جوهر بالفاعلية بنفوذها بالصدور نحوك يا موجدها بالطبيعة البشرية . وحينما عدم الانسان الاول ما ذكر فبجودتك وبروحك القدوس كنت تاتي بنور منفذ من بر ارادتك بالابا الاولين وبالانبيا وبالمعلمين المتنورين لكيما ترد يا ايها المتسع بالسخاً والعالي بالجودة صفات المحبة بالطبيعة البشرية التي ذا جوهر بالفاعلية بالاتصال اليك .

عظيم هو ارتفاعك الجودي باشا المحبة من الانسان نحوك يا علة المحبة واصل وجودها بالطبيعة البشرية لان بروح المحبة العظيمة كونت بحكمتك ناسوتك بالخليقة : وبالمحبة ظهرت انساناً نحو الجنس البشري بملادك[1] المقدس : فابالمحبة اختنت واعطيت عربونً افدا وباعتمادك الذي كان سرٌ بناسوتك الاقدس وبابتدا كرازتك المقدسة ظهر روح المحبة بصفات الحمامة التي تدل على وداعتك الغير المتناهية . ايها الحكمة بظهور حبك الجوهري للجنس البشري الفاعل بالقوة لمن يومن بك .

متسعة هي محبتك بمفاعيلها ايها الختن للنفس المشتراه بدمك الكريم.

السجود لمحبتك ولفاعليتها بتواضعك الغير المحدود بسر اعتمادك بظهور جوهرها وبالروح المنظور بشبه الحمامة . السجود لك باعتمادك يا ايها المقدس المياه لتطهير الانفس ونقاوتها . السجود لوداعتك الحليمة المتصفة بالرحمة على الجنس البشر بسر اعتمادك .

السجود لحياتك واسرارها المقدسة وانت متردد ما بين خلايقك البشرية.

ايها الحمل المقيد حرافه[2] بالتواضع الغير المحدود لانك بالتواضع اعتمدت والتواضع[3] ابتداة كرازتك المقدسة . بحكمتك الغير المتناهية . وبالتواضع فعلت ما بلم[4] بكرازتك[5] المقدسة وبالتواضع ظهرة مفاعيل قوة بناسوتك بفعل القواة والمعجوات[6] .

عظيم هو تواضعك ومرهوبة قوة فاعليته الموترة بالانفس الغايبتها : وايضاً رهيب بفاعلية بالانفس الراذلتها بعدلك .

---

١) المقصود « بملاك » .
٢) المقصود « خراقة » .
٣) المراد هنا « وبالتواضع » .
٤) « بلم » والمقصود « بلّم » وهي كلمة ترد كثيراً في كتابات هندية.
٥) اي « بكرازتك » .
٦) طبعاً هي كلمة « والمعجزات » .

نسالك يا الهنا ان تمنحنا باستحقاقات تواضعك المقدس معرفة الذات: والسلوك باثار تواضعك الفايق الادراك يا ابن الله الحي. نسالك ربنا تغفر خطايانا وتمحي اثامنا وتمنحنا التوبة الحقيقية: مع بغض الخطية. امنحنا رضاك المتسع بخيرات على الانفس اقابلتها. ادفع غضبك عنا الهنا ارحنا بحنوك الابوي.

نسالك الهنا ارحم الموتى المعذبين في النيران المطهرية انقذ نفوسهم من عذاباتها اعطهم الراحة بالتمتع بك.

امنح ربنا لجميع المحسنين الينا نعمة الانتصار لكي يجاهدوا في طريق الخلاص وينجحوا بالسلوك به. اعطهم جميع احتياجاتهم مما هو ملايم لنفوسهم واجسادهم.

نسالك يا منقذنا الحلم الامين تصون رهبنة قلبك وتنميها لتمجيدك وخلاص الانفس نجها من جميع المضرات. ولتصن وتنجي من يحفظ قوانينها وندورها. بشفاعة سيدتنا مريم العذرا الكلية القداسة وماري يوحنا سابقك امين.

نشيد لدخول السيد المسيح الى الهيكل
تصنيف الام هنديه عجيمي مؤسسة رهبنة قلب يسوع الاقدس

المجد للاب والابن والروح القدس كما كان في البدء والان وعلى الدوام والى دهر الداهرين امين .

ايها النور العالي بفهمك الجوهري : ايها المتسع بالحكمة الغير المتناهية والمظهر مفاعيلها بير ارادتك المقدسة : يا من لا تضبط من خليقة وغير ممسوح بخرقك اياها . ايها النور المظهر شعاع ضيايه . بمجيه الى العالم بالجسد لكي تنقذ الجنس البشري من الظلام الملم به بضخاخه المضرة والمعيقة عن محبتك . يا من احجبت عظمة ناسوتك الاقدس المنقذ منه الاستحقاقات بالقوة للتطهير والتبرير والانقاذ من ظلمة الخطية للانفس القابلتها .

ايها الحمل المتصف بالوداعة الربحية : وانت متعال بحكمتك بفهمك الغير الممسوح بجوهره بالقوة مصدر فاعلية حكمتك بمجدك الغير المتناهي المتسع بتماجيد جميع كمالاتك المقدسة : تظهر بطفوليتك الحلم المتسع بالتبادل كانك ملتزم بالناموس مما يخص تقدمة الاطفال الى الهيكل كالعادة .

يا لعلو مفاعيل قداستك يا واضع الناموس المتسعة بالحكمة الكاملة بالبر الودي مظهراً به رحمة لا تحد على الجنس البشري . ارتضي بمحبة كاملة بالصفح والغفران نحو الطبيعة البشريت باشتياقك المقدس الذي كان يعطي هية على صورة ناسوتك المقدس برغبة متقدة لكيما تتقدم الى الهيكل ويتقدم عنك ما هو معين في الناموس بواسطة والدتك الكلية القداسة بتناذل لا يحد ولا تفهم كيفية صفاته . وانت ايها الاله المعتز بمجدك والمتزيح برهبة بعرشك المقدس من الملكية وروسايهم وبسجود يمدحون ممجدين اتساع قداستك .

يا علة خير خلايقك الناطقة والناطقة ارتضي باعطا الحية على ماهية صورتك الجليلة بالايما لوالدتك الكلية القداسة بالفرح المنقد من قلبك المتقد بالمحبة نحو الجنس البشري الكيما تتقدم لاجلهم الى الهيكل : وتعطي فدا بالنوع الاعتيادي وما هو مضمر به لتقدمة الشكر لاحسانك يا علة المواهب والاحسات[1] على الجنس البشري .

---

١) طبعاً هي كلمة « الاحسان » .

المجد لمحبتك السرمدية التي ليس لها ابتدا ولا انتهـا . المجد لظهور بالصدور مفاعيل محبة ناسوتك القايمت بالعلو بمفاعيلهـا باقنومك الاقدس وباضطرام وباتقاد اشواق قلبك الاقدس الفايضة تعطفاته بالمحبة نحو كل نفس ناطقة واشا الربح باشواق عظيمة القوة لكي تنال الخليقة الناطقـة استحقاقاتك الغير المتناهية . لكَ المجد الهنا ومنقذنا الوديع باندهال والدتك الكلية الطهارة : وماري يوسف من حركة الحب المتقدة من ناسوتك الاقدس بنوع لا يفهم : الملمة بطفوليتك المقدسة الحاجب بها كمالات عظيمة وغير مفهومة : من الصفات المختصة بها اوصاف جسدك المقدس الكلي الجلالة الفايقة سطوته بالاعتزاز . ومختفي ما ذكر بحجب مملو تناذلاً غير مفهوم بما يلايم منح المواهب والعطايا والغفران منه .

المجد لقوة مفاعيل انعامك الفايقة بنفس والدتك واندهالها مع خضوعها لارادتك المقدسة في تقدمتك الى الهيكل كالعادة الجارية لبقية النسا القايمة بنوع الابكار .

يا ايها الذي ليس له بدايت بصورته السرمدية الازليت وليس لكمالها انقطاع بالمجد . ارتضي يا من هو بكر لامه فقط وهو بكر كل الخليقة الناطقة وكيان كل صورة فاهمة نورية ان تساوي بتواضع متسع بالرحمـة جميع الاطفال الذين يتقدمون الى الهيكل من امهاتهم بالصيغة المعلومة من الناموس .

يا من تتقدم لعزتك جميع القرابين بالايمام[1] بك وبالسجود والعبادة والرجا لكي ينالوا الموعد الذي انت كنت متظهر من الاتيا بالوعد وبالايمانه ومن الانبيا . ومن كل من كان يترجا عزا اسرايل . ارتضي ان يتقدم عن ناسوتك حمام او يمام كما معين بالناموس لنوع المسكنة الذي يدل بصفات الحمامة الوداعت والنقاوة . واليمامة الود وظهور الانس بهية الامانة .

المجد لاحكامك المملوة حنوًا واشفاقـاً نحو الجنس البشري في امر خلاصهم : وخاصةً بتواضعك المذهل المليكة بالتحير بتقدمتك الى الهيكل ما فوق يدي والدتك التي جعلتها تسمو بالقداسة على جميع خلايقك الفاهمة والناطقة : المجد لجودتك يا ايها المفيض احسانه بالسخا وبحكمة لا تحد باتصاف احتشامها واتضاعها واضطرام محبتها نحوك يا منقذها ووحيدهـا وظاهرة مفاعيل قدرته بها . يا من سمي اتصاف الحب بالاضطرام نحوك .

١) المراد هنا طبعاً كلمة « بالايمان » .

يا علتها وحبيبها الظاهر انتخابه اياها بهبة الوالدة . يا من شرفت مقامها بالعلو واهليتها من الانعام ببر ارادتك المقدسة .

عظيمة هي حكمتك الخفا بتجسدك الاقدس وبالاسرار المحتوية بناسوتك الاقدس . يا من اعلنت بوحي روحك القدوس لسمعان الشيخ بانه لا يذوق الموت حتى يعاين المسيح الرب : ايها الغير المدرك بمفاعيل حكمتك الغامضة : مجيد بظهورها في من يتبرر بخضوع ارادته وبالايمان بك بصلاح تدبيرك المقدس اياه . لك المجد بحركة البار سمعان الشيخ الكلي التقوى المرتفع فيه[1] بتزير[2] انعامك المقدسة وبانقياده بالروح الى الهيكل منتظرك ايها المسيح الذي لا يكون لربوبيتك وفاعليتها انقطاع بتسلطك بالحكمة العظيمة بما انك نور مضيء باستحقاقاتك لجميع الانفس القابلتها. لك المجد بانتظار القديس سمعان الشيخ الذي عظمته بالايمان بك : متفرساً لقياك اتياً بشوق مضطرم بالمحبة بك : لكي يشبع تعطفات قلبه من النظر اليك . لاجل انتظاره اياك برجا عظيم بالاتكال على رحمتك يا منقذ البشر.

المجد لمفاعيل محبتك الظاهرة بهبة انفعاله بقابليته المنفتحة لها : لانه كان يتفرس وهو في الهيكل وحينما نظر والدتك وانت ما فوق دراعيها النقيين وماري يوسف مرافقها بخضوع باوقار يدل على تهيبها المملو ايماناً بك . ايها العالي باحكامك المخفية بناسوتك الاقدس وبالاسرار المحتوية بطفوليتك المبررة المظهرة[3] الانفس المانحة النعم الفاعلة بالجودة . عرف بنفسه متحققاً انك انت المسيح الرب المنتظر الاتي الى العالم المنير بافعالك المقدسة المعزي من بقبل فاعلية استحقاقاتك . خضع متناولاً اياك على دراعيه وبارك الله قايلاً الآن يا سيد اطلق عبدك بسلام ككلامك :* لانه اعترف بانك انت المنتظر من الابا والانبيا : وانت الموعد به لخلاص الجنس البشري . انت هو النور الآتي الى العالم لكي تعرف الانام بكراذتك وباسرار المقدسة طريق الخلاص . انت هو الذي بك الخلاص منك يصدر مفاعيله المواضحة به الحقايق العادقة بالمعرفة الواضحة المحققة للانفس الناطقة في المحبة لك بالايمان بناسوتك الاقدس وبالخضوع لاوامرك المنقذة النفس . انت هو الذي ترفع الطبيعة البشرية من وطو سقطتها بالايمان بك وتنجي كل نفس

---

١) المراد هنا « فيه » .
٢) دون شك هي كلمة « بتنوير » .
٣) قد يكون المقصود كلمة « المطهرة » .

تعي استحقاقاتك الربحية منها الانفعال لمحبتك الصادقة بالتوبة وبغض الخطية . انت هو المنير افهام بفاعلية الايمان بك والمضي القلوب بحب ناسوتك الاقدس الذي يعطي شجاعة بالجهاد ولاستقامة بالصبر بالسلوك في الطريق المستقيم . انت الغافر الخطايا وبيدك الموة والحيوة لانه بالايمان الحار المستقيم بالمحبة قال سمعان الشيخ اطلق عبدك بسلام لان عيناي ابصرت خلاصك . اعترف بانك مخلص العالم . ولك السلطان المطلق العالي على جميع الخليقة الناطقة . المجد لك يا ابنا باحوا الاسرار بناسوتك الاقدس الغامضة بحكمتك والموضح منها لم تشا كما فعلت بالقديس سمعان الشيخ وبالتأثير الفاعل القوي مما كشفت له حينما قال علانية الى والدتك الكلية القداسة والبتول والدايمة بتوليتها من بر ناسوتك الاقدس انك انت بعزتك لسقوط وقيام كثيرين واعلن لها عن اسرار الامك والحزن الذي يكون لها بنفسها وقلبها من جرى الامك المقدسة وفهمت من اقواله فهماً متسعاً مما حوى ناسوتك الاقدس من الاسرار الفاعلة في الخليقة البشرية بما يخص نفوسهم واجسادهم مما يظهر ما هو مختص بقلوبهم . لك المجد ربنا والهنا في انذهال سيدتنا مريم العذرا وماري يوسف خطيبها البتول وتعجبهما بما عاينا وسمعا بسر دخولك الى الهيكل : وما تكلم به سمعان الشيخ بقوة فاعلية استحقاقاتك المنقدة من ناسوتك الاقدس بتأثير قوي مظهر حقيقة كونك المسيح المنتظر مخلص العالم : وبما رايا من حنه النبيه التي كانت تنتظر باشواق حارة عزا اسرايل الذي انت هو يا علة افراح الطبيعة البشرية فيه وعزا كل من يومن بناسوتك الذي متحد لاهوتك به .

ايها القايد خرافه بالايمان بك بالخضوع لمفاعيل ارادتك المقدسة في امر خلاص الجنس البشري : عظيم هو انفعال حنه النبيه من استحقاقاتك حينما تجدت لك بالايمان وانفصل قلبها بالرجا بك وامنت بكلما سمعت من القديس سمعان الشيخ وكانت تصرخ علانية بايمانها بك بكلما عاينته .

السجود لعنايتك المقدس بدخولك الى الهيكل : وبما تقدم عنك في ذلك الحين كما في الناموس وبما حدث بتدبير ارادتك الصالحة في ذلك الحين .

المجد لاتساع محبتك المظهر بها رحمتك نحو خلايقك البشرية : وخاصة في حزن والدتك وفرحها معاً واندهالها مما قبل عنك مع ماري يوسف الذي كان متحيراً ببداعته الكلية البساطة بما عاين بطفوليتك الحاوية الاسرار : وباضطرام المحبة اليك يا ايها الفايض انعامه بغزارة على من يقبلها .

يا ايها الناسوت المثاله العالي بالكمالات من اتحاد اللاهوت به اتحاداً جوهرياً دايماً والمظهر صفاته العالية الغير المفهومة كما هي .

يا حقل الانفس المصون بهيته الكاملة بالاعتـــدال والمسرح باتساع بافراح منوعة للانفس النقية الموعية به افهامها باغبة المضطرمـــة بخضوع الاختيار الذاتي وبالاغتصاب الملم بالجهاد في عبادتك .

يا ربح نفوسنا ورابحها باستحقاقاتك . يا عطور البخاخير الذكيـــة المتقدمة بالقوة الدايمة بنفود الاستحقاقات منك يا مقدم الوفا بالكمال .

يا تقدمة دايمة وضحية الضحايا المقبولة من عزتك الالهية بالرضا .

يا مقدم الوفا وقابله باعتزازك الرهيب الكامل العدل ومظهر الرحمة على الجنس البشري .

يا موضوع الصلاح ومتسع بالخيرات المنوعة بناسوتك الاقدس الذي جعلت يصدر منه الانعام بغزارة وتنوير ومصلح قوى النفس باستقامة باغبة اليك .

ايها المتسع بالمواهب على من كان متضعاً بمعرفة الذات لانك بغيرة متقدمة كاملة بالصلاح تطلب مجدك ومفاعيل انعامك القوية بتأثيرها الفاعل بالانفس المومنة بك ومضحة فاعلية تواضعك الربحي في تقدمتك الى الهيكل بالعمل والجهاد المختص بمحبتك ورادتك .

ربنا الهنا منقذنا فادينا راعينا قايد نفوسنا بحلمك الودي طيب نفوسنا الكامل الحكمة المنقي من قواها كل ما هو معيق لاقتبال حبك المطهر المنقي المبرر .

يا من لم يزل مظهراً رحمته بكمال الحب لكي يقبلوا اليه جميع الانفس لينالوا من سخايك المواهب والانعام وترتضي بخلاصنا المظهر اعتناك المقدس فيما يلم بالخلاص ان يتقدم عنك في الهيكل ما هو مختص للتبرير والفدا بالنوع المعين من الناموس لاجل نيل الرضا ولاجل الصفح والغفران . يا منفذاً الغفران باستحقاقاتك بالجودة لكل من يومن بك ويثبت في عبادتك ومحبتك.

ايها الحمل الحامل خطايا العالم بالمحبة التي لا توصف فاعليتها . وبالتواضع المدهل المليكة ومحير افهامهم الروحية . لان ناسوتك الاقدس حبيبي هو متعال بعظمة علواً جوهرياً لا يتوطى تظهر به بالانفعال بحس جسدك النقي الكامل القداسة تواضعاً فعلياً تما يلم بحياتك المقدسة وظفوليتك الحاوية

الاسرار بحكمتك التي لا تحد بتناذل مدهل الارواح النورانيه المشاهدين عزتك دايماً . يا لغرر اندفاق مفاعيل محبتك بغزارة تابعة بالانعام على الجنس البشري وعلى كل نفس تقبلك[1] ما ذكر باغتصاب الذات وتنفعل بتواضعك الربحي ايها المتعالي بمجده الغير المحدود .

يمدحك الهنا المليكة وروساوهم بتسابيح معظمين محبتك ورحمتك في خلاص الجنس البشري وباعتنايك الابوي الكامل بالحلم نحو كل نفس بتفردها : وكل اقنوم بقيامه .

المجد لك بدخولك الى الهيكل بالجسد بطفوليتك المبررة : السجود لمفاعيل استحقاقاتك في ذلك الحين مسبحاً بحكمتك ومعتزاً بانعامك الخصوصية الانفرادية المانحها لمن يخضع لارادتك وللقديس سمعان الشيخ ولحنة النبية .

لك السجود ربنا بالسر الذي بناسوتك الاقدس بدخولك الى الهيكل المملو اتصافات مدهلة الصارة[2] من قوة استحقاقاتك المقدسة يا ابن الله الحي : يا من جعلت دقايق حياتك المقدسة بناسوتك الجليل حاوية اسراراً غامضة وكاشفاً منها لمن تشا وبحسب ما تشا ببر ارادتك المقدسة .

يا من جعلت والدتك الطاهرة التي عظمة نقاوتها من بر ناسوتك في كل حين متدهلة بالاندهاش من عظمة اتصافات طفوليتك التي ترى بما يخص الاطفال متصفاً بها : وبما يخص عظمة ناسوتك ربنا بطفوليتك المملوة حكمة اموراً فايقة الادراك لم تطلع عليها الخليقة الناطقة عموماً بل انفرادياً خصوصياً . كما عينت بحكمتك الغامضة : وخاصةً لوالدتك المتصفة بالوداعة بالنقاوة ولمارى يوسف خطيبها البتول .

المجد لك بسجودهما لناسوتك واحترامهما اياه وبمحبتهما له وبتجيرهما في هية حركته المملوة حكمة والمتصفة بالوداعة الانسية بما يخص الاطفال عموماً : لانك منقذنا الامين شابهة خلايقك الناطقة في كل شيء ما عدا الخطية : مع ظهور رهبة افعال ناسوتك باحكام غامضة لمن تشا .

نسالك ربنا باستحقاقات دخولك الى الهيكل : وبحق تواضعك الكامل الحق الربحي لمن يريد ربحه . وبقوة الغفران المنفذ من استحقاقاتك الغير المتناهية بتناذلك بتقدمتك الى الهيكل : ان تغفر خطايانا وتمحي اثامنا

١) في دون شك كلمة « تقبل » .
٢) المراد طبعاً كلمة « الصادرة » .

وتقوي نفوسنا بمحبتك وتصلح قلوبنا بانعامك المبرزة : وتمنحنا استقامة التوبة : مع بغض الخطية والابتعاد عن اشراكها المضرة .

ارحم جميع الاموات الراقدين برجايك : انقذ نفوسهم من عذاباتهم المطهرية : ربنا امنحهم الراحة لمشاهدة وجهك الكريم مصدر الافراح الدائمة للانفس الخالصة .

امنحنا الحنا وخلصنا خوفك المقدس واستحضارك الامين المعطي استيقاظاً وتهيباً لعزتك : لكي نعبدك وننال رضاك المغني الانفس .

امنحنا ربنا والحنا ما نحتاج اليه خاصة انصر رهبنة قلبك الاقدس : وصنها ونجها من المضرات . انعها بمجدك وخلاص الانفس . امنح الذين يحفظون قوانينها نعمة الثبات والجهاد في محبتك : لكيما يتبعوا بحفظ ندورهم بالسيرة التي ترضيك . اعط المحسنين الينا جميع احتياجاتهم : نجهم وصنهم من جميع المضرات : بشفاعة سيدتنا مريم العذرا الكلية النقاوة وماري يوسف البتول والقديس سمعان الشيخ وحنه النبية امين .

[الصلوات]

(٣٢٢) بسم الآب والابن والروح القدوس الاله الواحد امين وبعد فهذه صلوات جليلة تجب تلاوتها قبل تناول القربان المقدس وبعد تناوله . قد جمعت باختصار من الاقوال الكثيرة الحارة التي كانت هندية عجيمي الحلبية المارونية مؤسسة رهبنة قلب يسوع الاقدس تناجي خالقها السموي وتخاطبه بها حين تناولها هذا السر الالهي . حسبما كان يلهمها تعالى ويحركها الى النطق بها .

الصلوات التي تجب تلاوتها قبل تناول القربان المقدس
فعل الايمان والسجود

انني اومن يا الهي وخالقي ومخلصي يسوع المسيح بلاهوتك المتسع الغير المحصور الغير المحدود الغير المدرك الغير المحسوس . واومن ايماناً حياً بانك يا الهي حاضر في كل مكان وفي كل خليقة من خلايقك ؛ واومن ايضاً ايماناً حياً بلاهوتك وناسوتك في سر القربان المقدس واومن يا مخلصي بانك موجود في هذا السر الالهي وجوداً حقيقياً كما انك موجود على سدة مجدك . واومن يا الهي بانك انت الموجود في هذا السر العظيم المقدس الذي رسمته بذاتك القدوسية في العشا السري فانت هو بعينه الذي اوجدتني واحييتني وانت هو الذي تخلصني وانت هو الذي تميتني وتدينني عن كلما صدر مني ولم يوجد لي خلاصاً الا باستحقاقاتك الغير المتناهية . ولم انل غفران خطاياي الا برحمتك العظيمة وجودتك الغير المحدودة ، ومع انني انا يا الهي وعزيز قلبي عدم وتراب وحقيرة ومحدودة . وعقلي ضعيف وعاجز حتى عن /٣٢٣/ ادراك هذا الشيء الحقير المحدود . فمع ذلك انا اومن معتقدة بانني اتناولك الآن في سر القربان المقدس بلاهوتك وناسوتك . مع جميع كمالاتك الالهية وكل صفاتك الناسوتية . انه حقاً ليندهل عقلي عنها . كيف ان الاله العالي الغير المحدود يتناوله ويحظى به العدم التراب المحدود فهذا الذي انا اومن به من غير شك اصلاً ومن حيث انك يا الهي ومخلصي مستحق كل سجود فانا اسجد لمعونتك الالهية بكل قلبي . اسجد لكمالاتك الغير المتناهية

امجد لارادتك المقدسة التي بهـا ارتضيت بحكمتك وجودتك وقدرتك ان تتجسد لاجلي . وتمنحني سر جسدك ودمك الاقدسين بمحبـة لا تدرك وجودة لا توصف . امجد لجسدك الالهي ودمك الكريم . امجد لجراحات جسدك الاقدس جرحاً فجرحاً . امجد للالام والاماتات والموت المر الذي اقتبله جسدك هذا الالهي لاجل خلاصي . امجد لقيامته المجيدة من بين الاموات وصعوده الى السموات فاسأل جودتك الغير المحدودة يا الهي ان تقبل تمجيدي هذا العدمي باستحقاقات ركوع جسدك الاقدس حين صلاتك في البستان وبشفاعة والدتك المجيدة امين .

فعل الرجا

انني لارجو يا الهي وسرور نفسي رجاء حقيقياً باستحقاقات حياتك الشريفة والامك المقدسة ودمك الكريم المسفوك لاجلي وموتك المحيي . ان يكون لي تناولي هذا السر الالهي العظيم سر جسدك /٣٢٤/ ودمك الاقدسين لغفران خطاياي وللرجوع عنها . ولافادة نفسي وتقويتها . ولاضطرام قلبي بالمحبة نحوك انت يا الهي ومخلصي . والسعي الحسن في طريق خلاصي كما تريد لي . والوصول اليك اخيراً والتمتع بك في سعادة السما بقوة انعامك المقدسة . وباستحقاقات سرك هذا العظيم . واني لارجو ايضاً ان هذا الجسد الالهي بتناولي اياه يتمم بقوته العجيبة جسدي الترابي في اليوم الاخير للحبوة الابدية امين .

فعل المحبة

يا الهي ومخلصي انا احبك من كل قلبي ومن كل نفسي ومن كل قوتي فوق كل شيء وانا احبك يا الهي لاجل ذاتك القدوسة الكلية الصلاح . ولو امكن الغير الممكن اي انه لا يوجد سما ولا جهنم فاريد ان احبك يا الهي في دنيتي هذه فوق كل شيء . بل لو علمت ان حينما تخرج نفسي من جسدي تسقط حالا في جهنم فاريد مع عملي هذا ان احبك من صميم قلبي فوق كل شيء . فيا الهي وحبيبي المستحق محبة غير متناهية وغير محدودة انني اعد انا العدم محبتي هذه الضعيفة المحدودة المتناهية خيراً عظيماً وسعادة كبرى لنفسي . لاجل انك انت تطلب وتشا من الانسان الضعيف ان يحبك . فباستحقاقات محبتك الالهية لذاتك القدوسة امنحني المحبة

الحقيقية لك . وبتعطف قلبي الاقدس بالمحبة لذاتك الالهيـــة اجعلني ان احبك بالصدق دايماً وان تجرد قلبي من حب جميع المخلوقات وتجعله لك وحدك فقط فيا الهي ومخلصي ان قلبي لم يشبع من المحبة لك والتوق اليك ؛ يا فريد قلبي اجعل قلبي ان يتوق اليك وحدك فقط . صير ارادتي ان لا ترغب الا رضاك وحدك ./٣٢٥/ يا حبيبي ان نفسي تشتاق اليك وقلبي يريد ان يتحدى بك وحدك بالمحبة حقاً يا الهي لو اقتضى حبي لك ان اعدم كل الخيرات الممكن ان احصل عليها في هذه البوة نظراً الى النفس والجسد. واعدم كل فرح وسرور وكل راحة وسعادة وكل خير يمكن وجوده ؛ بل لو امكن . ان اعدم الوجود عينه وارجع الى العدم واتلاشى بالكلية . فاني ارضى بذلك بحيث اني احبك ساعة واحدة فقط محبة حارة ترضي عزتك الالهية . فيا خير نفسي العظيم من ذا الذي لا يحبك الا الذي يجهلك ويجهل خلاص نفسه وراحته الدايمة . الهي المتعالي بجبراوته وباقتداره الغير المدرك اترتضي ان يحبك الانسان ، ما هذا التنازل العظيم ما هذا الاتضاع المدهش ومع هذا فقليلون الذين يحبونك يا حبيبي المستحق كل محبة من الكل . المجد لصلاحك الالهي الغير المتناهي لانك ترتضي مع صلاحك هذا الغير المحدود ان تحب من الانسان الخاطي . الهي ان جودتك في طلبك حبنا لك تدهش الملئكة وتعجب منها القديسون لانهم حاصلون على السعادة ومملوون من معرفة كمالاتك الالهية . الهي انني بتذكري الآن بقوة نعمتك وعلو ذاتك الالهية بكمالاتك الغير المتناهية . وتذكري بوجود جسدك المتأله ودمك الكريم ونفسك القدوسة ولاهوتك الممجد في القربان الاقدس اندهش وانذهل. واشا من كل قلبي وبكل قوى نفسي ان تكون لي قلوب غير متعددة لاحبك بها . واريد من كل قلبي ان تضحي هذه القلوب ذابة ومتلاشية من اتقاد المحبة لك . يا حبيبي من ذا الذي يطلع على فوايد الحب لك ولا يرغب في كل دقيقة المحبة لعزتك الالهية . يا كنز قلبي ومبدع /٣٢٦/ نفسي انني اتوق في كل دقيقة ان اتلاشى بحبك ليس بقلبي فقط بـــل بنفسي وجسدي ايضاً . حبيبي انني اريد ان اتجدد في كل دقيقة لعزتك الالهية لانك اردت ان احبك انا العدم ولست بشيء امامك . انني لاعجب جداً بارتضايك بان احبك ولو دقيقة واحدة فقط اكثر من تعجبي بخلقتك السموات والارض وكل ما فيها . لانك الهي مع كونك انت الرب المقتدر المتعالي بمجدك المتسامي بجبراوتك المعتز بكمالاتك الالهية فمع ذلك ترتضي بتنازل غير محدود واتضاع غير مدرك ان تحب مني أنا العدم التراب فما ابعد

المناسبة بيني وبينك . حقاً لن توجد هنا مناسبة اصلاً . انني حينما افتكر يا الهي في هنا جودك نحو البشر اخجل واخزى من تواني الانسان وكسله في عبادتك ومحبتك . وانذهل من هذا السخا الذي به تجود على الانسان ليس فقط ان تمتلك قلبه بمحبتك بل هو ايضاً يمتلك عزتك الالهية بسر القربان المقدس . الهي يا ملك المجد املك على قلبي ونفسي ولا تسمح ان يحيدا عن محبتك اصلاً . واطلب من جودك وسخايك الغير المتناهي ان تجعلني راسخة في محبتك كل ايام حياتي . وعند افتراق نفسي من جسدي احظى بك يا الهي بالمحبة الكاملة الى الابد . باستحقاقات دمك الكريم . وبشفاعة والدتك البتول امين .

فعل الندامة

يا الهي وسيدي يسوع المسيح خالقي وفخلصي . يا من ارتضيت بجودتك الغير الموصوفة ان تسفك دمك الزكي الى اخر نقطة لاجل خلاصي . وان تموت ما بين لصين لتمنحني حيوة النفس ان سعيت مع انعامك /٣٢٧/ كما تريد مني ان اسألك باستحقاقات موتك المقدس ان تعطيني الايمان الحي والرجا المتين بخلاصي والثبات في انعامك الى اخر دقيقة من حياتي وامنحني ايضاً باستحقاقات جراحاتك المقدسة ان ابغض جسدي واكره ما يميل اليه واحبك انت يا سيدي والهي وحدك فقط من قلبي فوق كل شيء . فيا يسوع ارحمني يا يسوع اغفر لي . يا يسوع اقبلني في احضان مراحمك الابوية . يا يسوع اعطني الندامة الحارة ان اندم من كل قلبي لاجل صلاحيك ومحبتك على جميع خطاياي التي صدرت مني امامك . بالفكر والقول والفعل وها انا نادمة يا يسوع الحليم الرحوم من كل قلبي على جميع خطاياي التي صدرت مني ضد محبتك وصلاحك الغير المتناهي . وانني بقوة انعامك يا يسوع حبيبي اريد ان اقبل الموت في كل دقيقة من حياتي ولا اشا ان اقبل الخطية بارادتي ولا دقيقة واحدة فامنحني يا يسوع الثبات بقصدي هذا الى حين مماتي بشفاعة والدتك مريم البتول وجميع الملايكة والقديسين امين .

فعل الاتضاع

يا خالقي ومخلصي يسوع المسيح انه لياخذني الذهول وعقلي يندهش من تواضعك الغير الموصوف في سر القربان المقدس. لانك مع كونك الاله الفايق الجلال والمتعالي بعلو غير متناه بكمالاتك الغير المحدودة. ومُمجداً بمجد لا يدرك. واتساعك لا يحد. فمع ذلك اراك بعيني الايمان مختفياً تحت الاعراض السرية جاعلاً جلالك الغير الممسوح بجزء صغير في سر القربان الاقدس. فكيف لا اندهش من تواضعك هذا العظيم. كيف لا اغيب عن الحس من تنازلك هذا العجيب الا ان الذي يزيدني اندهالا واحصل/٣٢٨/ في غاية التعجب والاندهاش هو ارتضاك مع اتضاعك هذا العجيب بان تأتي الى نفسي الخاطية وان اقتبلك بجسدي هذا الترابي الضعيف فيا لعظمة هذا السر الجليل سر جسد اخي الاقدس ودمه الكريم. فما هي المناسبة بينك يا خالقي ومخلصي وبين نفسي العدمية التي لا وجود لها من ذاتها. الهي اما تذكر انك انت الاله العلي الازلي الابدي قدس القديسين وبر الابرار. واما انا فانني خليقتك العدمية وصنعة يديك المقدسة. تراب وعدم ولست بشيء امامك انت الاقتدار بالذات وانا الضعف ولجة الشقا. انت الصلاح بالذات وانا المنعمة من الخطايا المتنوعة فكيف اتقدم اليك واتناولك يا ايها الاله المتعالي بمجده. والعظيم بكلماته. والغير المحدود بصلاحه وليس لي من ذاتي فعل يرضيك. وليس من ذاتي الا خطاياي فقط. فكيف يمكنني اذا التقدم اليك حقاً انني لست بمستحقة ان تدخل الى نفسي لانه من اين لي هذا ان ياتي ربي والهي الي. ولكن لانك انت تدعوني اليك يا سيدي ومخلصي بقولك العزيز تعالوا الي يا جميع التعبين والثقيلي الحمل وانا اريحكم. فانا لذلك اقبل اليك والتجي الى رحمتك التي لا تدرك ومحبتك التي لا تحد. واتناولك في سرك هذا الالهي فاقبلني انا الخاطية التي تألمت انت لاجلها وافتديتها بدمك الكريم. انا الجاهلة الضالة وانت رديتها بنعمك الى التوبة والاعتراف النقي.

فعل الاتكال

يا سيدي يسوع المسيح اله السما والارض. ومصدر الصلاح ومالي الكونين والقداسة. بالذات وبر قداسة القديسين. كيف اتقدم اليك /٣٢٩/ انا خليقتك العدم واقبلك بنفسي الخاطية ولا اتلاشى امامك يا الهي

انا الادنى والاحقر من جميع خلايقك . حقاً انني لم اكن اتجاسر واتقدم الى سرك هذا الالهي لولا اتكالي على رحمتك العظيمة نحو الخطاة . وعلى استحقاقات الامك المقدسة ودمك الكريم المسفوك لاجلي وموتك المحيي . الهي اتقدم اليك لانك اله حليم وديع ومتواضع القلب . الهي اتقدم اليك بشفاعة والدتك المجيدة . الهي اتقدم اليك باستعداد القلوب المتضعة . الهي ليس توجد في محبة صادقة لك اصلاً . فانا ارغب ان اتقدم اليك بمحبتك لسر جسدك الاقدس . وباتقاد محبة والدتك الحارة له. واسالك يا الهي يا بحر الصلاح الغير المتناهي ان تقبل تقدمي اليك بمحبة قلبك الاقدس ومحبة ذاتك لذاتك الالهية . وبقلبك العطوف تقبل نفسي برحمتك . وبجرح قلبك الاقدس تميل قلبي وكل عواطفه نحو محبتك لكي اقبلك باهبة والاتضاع وباحزان قلبك الموجعة في وقت الامك هذا هذا القلب الاقدس الذي بمقدار ما كان متألماً كاد يتمزق من اجل خطاياي . فباستحقاقات هذه الاحزان اسالك ان تقبل نفسي بشفقتك العظيمة . وتتغاضى عن جهلي . وتغفر جميع خطاياي واعطني باستحقاقات الام قلبك الالهي الا اعود بنعمتك الى خطاياي السالفة بعد ان اتناول جسدك الالهي بجسدي ونفسي الخاطية الحقيرة . وباستحقاقات حلم قلبك الاقدس المملو وداً نحو نفسي اجعل سر جسدك ودمك الكلي طهرهما ان يثمرا بنفسي افعال التقوى امين.

فعل الاشتياق

هلم يسوع الحلو . هلم يا عروس نفسي . هلم يا عربون قلبي . وافتقد قلبي الفقير . هلم الي عاجلاً لاشرب الحيوة يا يسوع ينبوع الخلص . هلم يا يسوع ربي هلم الي عاجلاً . هلم وافتقد نفسي المرتاحة اليك غاية الارتياح.

حبيبي لتشتاق اليك نفسي . الهي يتوق اليك قلبي . يا فريد نفسي ومحبوب قلبي العذب كل انتظاري من شدة شوقي اليك . الهي من يقدر يمنعني عن الافتكار بك بقوة انعامك . او يصد قلبي عن الشوق اليك يا من جذبت قلبي بقوة انعامك اليك بحبك . يا من فردت نفسي اليك بانعامك . وحيد قلبي اشبع اشواقي من محبتك . امل نفسي من ودك . اجذب قواها اليك بالغرام بك . يا مركز قلبي ولذة اشواقي . نفسي تتعطش اليك في كل حين الهي قلبي لا يسر بغيرك . ولا يريد التمتع الا بك ولا يتوق الا اليك يا فاحص قلبي يا من انت وحدك تعلم مرير قلبي وانا في

هذا الوادي وادي الدموع من ابتعادي عن مشاهـــدتك في ملكوتك. يا ضيا نفسي ونور قلبي يا خير نفسي الوحيد يا سعادتي الفريدة لم اجد لي منقذاً دونك ولا خالصاً الا بك. فهلم الي يا من انت وحدك مشبع نفسي ومروي قلبي. هلم الي يا مغني فقري وغافر خطاياي ومبرد نفسي من دنسها هلم الي وزين نفسي بانعامك المقدسة. واملأ قلبي من خوفك وحبك. واصلح ارادتي لتستقيم بالخير كما تشا انت. هلم الي واهد نفسي في طريق خلاصها ليلا تحيد عنه. هلم الي وامنحني ان اعرف من انت ومن انا قدر ما تشا الا بغض ذاتي واحبك انت وحدك فقط ولاحتقر ذاتي وارد المجد والشكر لجلالك الالهي /٣٣١/ على انعامك الجليلة. هلم الي واطرد عني اعدائي المضرين والغير المنظورين وقوني على محاربتهم. هلم الي واجعل انعامك ان تنشر بنفسي انوار الفضايل الحقيقة وتكون لمجدك الالهي هلم الي وصيرني ان اخضع خضوعاً تاماً لمشيئتك المقدسة في جميع ما يحدث لي من الكوارث والاحزان. هلم الي وامنحني الصبر في ضيقاتي والنشاط في عبادتك وتمجيدك الى النفس الاخيرة من حياتي امين.

صلوة للعذرا

انني التجي اليك يا سيدتي ووالدة الهي يسوع المسيح من كل قلبي لكوني محققة اني ضعيفة وعدم ولاشي. وكل افعالي ليست بشي من ذاتها امام ابنك الحبيب الهي. فلذلك اتوسل اليك من صميم قلبي ان تتقدميني لابنك الوحيد وتطلبي منه ان يقبلني باستحقاقات محبته لك. وباستحقاقات ارتضايه بمحبتك له ويغفر جميع خطاياي. ولا يكون تناولي جسده الالهي الاقدس لدينونتي بل يكون لنجاتي وانقاذ نفسي من التجاريب وان يثبتني بنعمته الى النفس الاخيرة واسالك ان تسمحي لي من جودته الالهية رضاه علي وان يمنحني محبته وبغض الخطية من كل قلبي امين.

صلوة للملئكة والقديسين

انني التجي اليكم يا جميع الملائكة والقديسين والتمس شفاعتكم في عند الهي ومخلصي فاسالكم ان تستمحوا الي منه غفران خطاياي والثبات في نعمته. وان يمنحني بشفاعتكم خوفه دايماً. وان اتذكر على الدوام انه ناظر الي في جميع افعالي واسألكم بخصوص ان تلتمسوا الي من جودته ان يريدني بانعامه المقدسة لاتناوله في القربان المقدس كما يجب علي وكما يرضي عزته الالهية امين.

(٣٣٢) الصلوات التي تجب تلاوتها بعد تناول القربان الاقدس
فعل الايمان والسجود

يا الهي يسوع المسيح انت العظيم الغير محدود والغير المدرك بكمالاتك الالهية . والغير المفحوص والغير المدرك بناسوتك الاقدس المتاله انت الذي لا تسع السما والارض مجدك . والقادر على كل شيء وديان الاحيا والاموات. فانا اومن ايماناً حياً انني تناولتك بهذا السر العظيم سر جسدك المقدس بلاهوتك وناسوتك مع مجدك الالهي الغير المحدود واومن معتقدة انني قد حصيت بالهي ومخلصي وتمتعت بمن تتوق اليه نفسي وينعطش الى التمتع به قلبي . فما اشرف واسعد هذا الوقت الذي به تمتعت بكنزي الحقيقي وخيري الكلي وسعادتي العظيمة الغير المتناهية . استيقظي يا نفسي واوسعي بتحقيق كلي بفرايد وشرف هذه الدقايق السعيدة . التي انت بها الآن متمتعة بمن هو مجد الملائكة وسما القديسين ومصباح الملكوت وغايتك الحقيقية فيا للعجب المذهل العظيم لانك يا الهي مع كونك الاله الغير المتناهي بقدرتك وحكمتك وجودتك وباقي كمالاتك الغير المحدودة . فمع ذلك انا اومن انني تناولتك في سر القربان المقدس الذي رسمته بذاتك الالهية في العشا السري . فيا الهي كما انني بقوة انعامك اومن بتناولي سر جسدك ودمك الاقدسين . فاومن ايضاً انني باستحقاقاتهما اشاهدك في مجدك السموي. واتمتع بمحبتك الى الابد واشبع من التمتع بكمالاتك الالهية ورويا جسدك الاقدس ان سعيت مع انعامك كما يجب .

وها انا يا الهي ومحبوب قلبي امجد بكل قلبي وبكل احترام وتلاشي لجسدك /٣٣٣/ الالهي ودمك الكريم المتمتعة انا الآن بهما . امجد لقدرتك الالهية الغير المحدودة الغير المدركة . التي بها مع كون عظمتك غير مدركة ارتضيت ان تمنحني سرك الالهي باتضاع غير محدود . وامجد لباقي كمالاتك الالهية امجد لاتحاد لاهوتك بناسوتك الاقدس . امجد لارادتك المقدسة التي بها اردت ان ترفع جسدك الاقدس بقنومك الالهي ارتفاعاً غير محدود وغير مدرك . وبها ارتضيت مع ذلك ان تتنازل بجسدك هذا الالهي باتضاع غير محدود وغير مدرك الى نفسي الفقيرة العدمية العديمة بذاتها كل خير . امجد لاستمرارك دقيقة فدقيقة في القربان المقدس الى انتها العالم امجد لاتضاعك واختفايك في سرك هذا الالهي . وامجد لصبرك على الاهانات التي يهان بها

جسدك هذا الاقدس من الغير المومنين ومن بعض المومنين الخطاة . اتحد لرحمتك ومحبتك وجودتك التي تظهرها للنفوس النقية القابلة سرك هذا الالهي حسناً وانني لارغب يا الهي ان تسجد لك نفسي بقواها وجسدي وحواسه وعظامه . فاقبل سجودي هذا مع سجود مليئكتك وقديسيك ووالدتك النقية وناسوتك الاقدس لعزتك الالهية امين .

فعل الرجا

انني لارجو يا الهي ومخلصي بعد ان تناولتك الآن في القربان المقدس وتمتعت نفسي بجسدك ودمك الاطهرين . ان تمنحني القوة لصعني على مقاومة التجارب الظاهرة والباطنة . وارجو باستحقاقات هذا الجسد المثالة المجيد ان تمنحني التقدم اليك في كل حين بالمحبة الحقيقية مع بغض /٣٣٤/ الخطية ؛ ويدوم ذلك الى انتهاء حياتي . وارجو ايضاً باستحقاقات محبتك ان تثبتني في الايمان المستقيم الى الممات . وكذلك ارجو ان تمنحني انعامك المقدسة لاسعى في عبادتك وخدمتك وامتلاك الفضايل الحقيقية والعمل بها الى النهاية .

فعل المحبة

يا يسوع الهي وحبيب قلبي انني لا تعجب متذهلة من تواضعك العظيم ومن محبتك الغير المدركة . فكيف ارتضيت حبيبي متنازلا بهذا المقدار من الاتضاع الغريب واقتبلت نفسي الحقيرة ودخلت اليها . فيا لعظم تواضعك الغير المدرك يا يسوع الكلي الجود والسخاء يا لعظم افراط محبتك الغزيرة نحو نفسي العدمية بهذا السر الالهي العظيم . الهي ومخلصي لتحبك وتشكرك عني خلايقك العلويين سكان السما . لتحبك وتشكرك عني النفوس المتضعة لتشكرك وتمجدك عني للسموات والارض الهي المحبوب الغير المحدود والقادر على كل شيء خالق الجميع . هل يمكن للخليقة ان تحبك وتشكرك كما يجب لك من الحب والشكر . كلا . فكيف اذا يمكنني انا الضعيفة ان احبك واشكرك بالكفاية يا يسوع المحبوب المتضع الفايق العظمة والجلال . انني اتوسل الى عزتك الالهية باستحقاقات جراحات جسدك المقدسة جرحاً فجرحاً طالبة من جودتك الغير المتناهية ورحمتك الغير المحدودة انك انت تحب ذاتك الالهة وتشكرها وتمجدها عني . لانها مستحقة محبة غير محدودة

ولا يمكن لخليقة ما ان تحب ذاتك القدوسة . فانت وحدك كفوا لذاتك باهية . فاحبيها وعظميها وامدحيها عني عوضاً عن حبك /٣٣٥/ وتنازلك نحوي بهذا المقدار المذهل المليئكة والقديسين الهي وخالقي ومخلصي انا احبك من صميم قلبي مع جميع عواطفه وبنفسي وكل قواها . فيا حبيبي من ذا الذي يذوق محبتك ولا يرغب التقدم اليك باهية . يا مشبع المليئكة من محبتك . يا مالي النفوس الخالصة من محبتك باستحقاقات دمك الكريم . يا مروي القلوب المتفحة من محبتك اجذب قلبي وكل عواطفه باهية نحوك. اجعل قلبي ان يشتاق اليك دايماً . املك يا يسوع الحلو على نفسي الذليلة. استأسر يا يسوع العذب عقلي لكي يفتكر بك ويهذ فيك على الدوام لترتفع اشواقي اليك باهية بنعمتك وباستحقاقات دمك الذكي . الهي احب قلبي بحبك . صديقي ذوب قلبي بودك . حبيبي افن ولاش قلبي بالغرام بك . حتاً يا الهي ليس عطية ما تضاهي عطية حبك . الهي انني حتاً بنعمتك افضل حبك على نيل كل الاشيا الكريمة السامية المرغوب امتلاكها بل افضله على السموات عينها . حبيبي انني امجد بكل قلبي لقلبك الالهي ينبوع الهية وبحرها الزاخر . وانني لارغب من كل قلبي ان احبه واكرمه بكل قوتي لانه يحب عزتك الالهية بكمال المحبة . وبمقدار ما تستحق من المحبة . فاسالك حبيبي باستحقاقاته ان تقطر في قلبي الفاتر قدر ما تشا من بحر حبه الغير المتناهي . لكي احبك كل دقايق حياتي حسب ضعفي وبمقدار ما تشا مني . واكرم حبك بمقدار استطاعتي عوضاً عما اظهرت لي منه بمنحك اياي جسدك الاقدس امين .

/٣٣٦/ فعل الشكر

قد وجدت من احبته نفسي وضميته الى قلبي فهل عدت افارقه . حبيبي لي وانا له . قد حظيت بالهي الذي كانت تشتاق اليه نفسي وقلبي يترق الى الاتحاد به فلا عدت اطيق مفارقته ابداً . لما تكلم حبيبي ابتهج قلبي وتهللت نفسي . صوت حبيبي اذابني وسلب عقلي واسكرني . فيا يسوع عزيزي اشكرك من كل قلبي ونفسي وقوتي تشكرك سيدتنا مريم العذراء عني . تشكرك المليئكة والقديسون عني . يا حبيبي والهي تشكرك السموات والارض وكلما فيها عني وانا العاجزة عن الشكر لك . فالشكر لك يا يسوع الحلو في الغاية اشكرك يا من خلقتني على صورتك ومثالك .

اشكرك يا من احببتني حباً الى الغاية وصرت انساناً لاجلي اشكرك يا من اعطيتني جسدك الطاهر ودمك الكريم قوتاً لنفسي . اشكرك يا من مت عرياناً على خشبة الصليب وخلصتني بدمك الزكي اشكرك يا خيري الوحيد ومرشدي الحبيب اشكرك يا حبيب قلبي وعروس نفسي ومعلمي العجيب اشكرك يا كنزي وحلاوتي ومعزي نفسي . اشكرك يا وحيدي وسيدي الفريد. اشكرك واعجدك وابارکك واسبحك الى الابد . اسجد لك يا ربي والهي انا الغير المستحقة واطلب من فضلك وغزير مراحمك اما انك تصير قلبي ان يحبك ويتذكر حسناتك ويشكرك . اما انك تخلق لي قلباً جديداً انني لاشتهي يا حبيبي الحلو في الغاية يا خالقي ومخلصي ان تكون لي قلوب جميع الخلايق لاحبك بها . والسن غير متعددة لاشكر حسناتك الي ووفور محبتك لي . اشكرك يا حبيب قلبي طول ايام حياتي . وبعد موتي تشكرك عظامي في قبرها .

/٣٣٧/ فعل الندامة والانسحاق

يا يسوع الهي ومحبوب قلبي انني حينما اتذكر من جهة بما تفضلت علي وعلى البشر بسر محبتك وجسدك الاقدس ودمك الكريم . واتامل متذكرة من جهة اخرى خياتي وخيانة البشر بعدم اظهار المعروف نحوك بحبك وتمجيد قلبك الاقدس . يكاد قلبي ان يتمزق ويذوب اسفاً وتوجعاً على ما اسينا اليك . الهي وحبيبي القدوس انني لعالمة انك بمقدار ما تحب قداستك تبغض الخطية . ومع ذلك قد احتقرت انا الشقية قداستك الالهية واحببت الخطية . فما اعمق الجرح الذي جرحت قلبك الالهي بخياتي هذه الغير المحتملة فكيف امكن لقداستك ان تحملني الى الآن . وكيف لا اموت انا من الحسرات والاحزان لاني احتقرت عزتك العلية والمت قلبك القدوس هكذا . الهي انت منحتني جسدك الالهي ترياقاً لحياتي ودمك الزكي بلسماً لجراحاتي . وانا اذقتك كاس المرايز والاحزان بخطاياي المتنوعة. فما اقبح خياتي وشر رذايلي . وما اعظم صبرك ومراحم قلبك الودود الغير المحدود المتعطف علي . فبتذكري انا الآن ذلك جميعه ابكي واندب واتوجع متأسفة على ما اسبب اليك يا الهي . ليتني ما عرفت الخطية ولا اغظتك بها يا حبيبي . ومن حيث انك يا الهي صالح ومحبوب في الغاية فانا نادمة من كل قلبي على جميع خطاياي التي صدرت مني ضد صلاحك الالهي

وارادتك المقدسة . انا نادمة من صميم قلبي على خيانتي وعدم معروفي فارحمني يا الهي واغفر جميع خطاياي . وانني بنعمتك ابغض من كل قلبي ونفسي وارادتي خطاياي وبقوة نعمتك اقصد قصداً ثابتاً بكل ارادتي انني لم اعد افعل الخطية اصلاً . واقصد انني اقبل الموت في كل دقيقة ولا اقبل /٣٣٨/ الخطية بل اقصد ايضاً انني منذ الآن ابدل الجهد بتأييد نعمتك ان اعبدك واحبك وامجد قلبك القدوس واكرم جسدك الالهي على الدوام. فاعطني يا ايها الاله الرحوم السخي باستحقاقات سر جسدك ودمك الاقدسين نعمة الثبات فيما قصدته الآن . قو يا الهي قصدي هذا . وامنحني انعامك لنسعف ضعفي بالسلوك كل ايام حياتي بالندامة الحقيقية الواجبة علي . وبألا ارجع الى الخطية امين .

فعل التقدمة

يا خالقي ومخلصي وحيوة نفسي انني اتقدم اليك باستحقاقات جسدك المقدس الذي انا الحقيرة متمتعة به الآن . فاقبل نفسي باستحقاقاته العظيمة الغير المتناهية اتقدم اليك باستحقاقات قلبك الالهي . فاقبلني بمراحم هذا القلب الاقدس الشفوق على نفسي وعلى نفوس الخطاة . الهي اقدم لعزتك الالهية نفسي وقواها وقلبي وعواطفه واشواقه كافة وجسدي وحواسه فاقبلني باستحقاقات محبتك الغير المتناهية لذاتك الالهية . وبرحمتك العظيمة على جنسنا البشري الضعيف اقبلني واجعلني بكليتي في خدمة جلالك الالهي اقدم لك ولمجدك الالهي حياتي وكل دقايقها دقيقة فدقيقة وجميع ما يحدث فيها فاقبل تقدمتي هذه الحقيرة باستحقاقات الامك المقدسة وموتك على الصليب . الهي انني حينما اتامل في تقدمتي هذه كلها اراها بكليتها لاشا وعدما . فاتحسر ويمتلي قلبي احزاناً لاني لست ارى لي شيا من ذاتي اقدمه لعزتك العلية واجد قلبك الاقدس حسب رغبة قلبي ولكن حينما اقابل تقدمتي هذه العدمية مع منحك لي جسدك الالهي ياخذني /٣٤٠/ الذهول . ويعتريني الحيا والخجل واخزى بذاتي جداً جداً . ولست ادري ما اقول سوى انني التجي الى حنو قلبك الحليم طالبة ان تسبل مراحمك على تقدمتي هذه . فاقبلها الهي بشفقتك العظيمة امين .

فعل الطلبة

ايها الاله المتعالي بكمالاته علوًا غير محدود . يا كلي الجود والسخا المنعطف بقلبه الكريم الى ان يفيض بركاته وانعامه على خلايقه . اسالك بجودتك العظيمة التي بها جدت على نفسي المسكينة الخاطية بتناولي جسدك ودمك الاطهرين . ان تمنحني الفضايل الحقيقية وان تجعلني ان اتحقق دايماً انني عدم ولا شيء امامك ليس فقط بل امام خلايقك ايضاً . وكما ان نفسي لا يمكن ان ينظرها احد او انا انظرها بدون قدرتك العجيبة فاسالك من كل قلبي باستحقاقات محبة قلبك القدوس للبشر . وبخنوده العظيم نحو الخطأة . ان تحفني هكذا الى حين وفاتي جميع اعمالي التي امارسها بنعمتك كما ان نفسي مخفية بجسدي . امنحني يا يسوع حبيبي المحبة الصادقة لك . اي بغض الخطية والسلوك الحسن في الفضايل الحقيقية . ومعرفة الذات . والاتكال على استحقاقاتك الغير المتناهية وانعامك المقدسة . والاياس من ذاتي والالتجا اليك دائماً امنحني يا يسوع الصالح باستحقاقات قلبك الاقدس الرجا المتين بخلاصي . والايمان الحي بهذا السر الجليل سر جسدك ودمك النقيين . ويرافقني هذا الايمان والرجا اخر دقيقة من حياتي احفظني يا يسوع حبيبي ان استفيد من تناولي هذا السر الالهي . وتدوم معي فايدته لنفسي بانعامك المقدسة . امنحني يا الهي ومخلصي ان استفيد من سر الاعتراف المقدس وبقية الرياضات المقدسة التي امارسها في كل حياتي . والا يكون ذلك لدينونتي بل لنجاتي وغفران خطاياي باستحقاقات حياتك المقدسة والامك الخلاصية وموتك المحيي وبشفاعة والدتك المجيدة وجميع الملايكة والقديسين امين .

كتاب التجليات الالهية (تابع)

تصنيف الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عضو المركز القومي للابحاث العلمية في باريز
شعبة الحضارة الاسلامية

هيكل الولاية

وكذلك نستطيع ، على ضوء ما تقدم ، ان نتمثل « هيكل الولاية »، اي « نظام التجربة التحريرية في الاسلام» ، في صورة مثلث ذي زوايا ثلاثة ؛ عن كل زاوية منها تنبثق ابعاد ثلاثة ، هي إما رمز لليقين في درجاته الثلاث ، او رمز للبقاء والفناء ، في صورهما الثلاث ايضاً .

فلنفترض زاوية الرأس من هذا المثلث رمزاً لليقين . فهناك ابعاد ثلاثة تنبثق عن هذه الزاوية : البعد الاول (في الوسط) يصور مرتبة حق اليقين ؛ البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور مرتبة عين اليقين ؛ البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور علم اليقين .

وكل بعد من ابعاد هذه الزاوية ، ينتهي بدائرة صغيرة : اعلاها يحتوي على رقمها العددي المتسلسل (= دائرة حق اليقين : 3 ؛ دائرة عين اليقين : 2 ؛ دائرة علم اليقين : 1) . واسفل الدائرة يحتوي على رقمها الاصلي (= دائرة حق اليقين : 1 ؛ دائرة عين اليقين : 2 ؛ دائرة علم اليقين : 3) . — اما داخل الدائرة فيحتوي على عنوان كل منها .

ولنفترض زاوية الضلع الايمن ، من هذا المثلث ، رمزاً للفناء . فهناك ابعاد ثلاثة تنبثق عن هذه الزاوية . البعد الأول (في الوسط) يصور حالة الفناء الذاتي ؛ البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور حالة الفناء الصفاتي ؛ البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور حالة الفناء الفعلي .

وكل بعد من ابعاد هذه الزاوية ينتهي بدائرة صغيرة : اعلاها يحتوي

على رقمها العددي المتسلسل (= دائرة الفناء الذاتي : 3 ؛ دائرة الفناء الصفاتي : 2 ؛ دائرة الفناء الفعلي : 1) . واسفل الدائرة يحتوي على رقمها الاصلي (= دائرة الفناء الذاتي : 1 ؛ دائرة الفناء الصفاتي : 2 . دائرة الفناء الفعلي : 3) . — اما داخل الدائرة فيحتوي على عنوان كلٍ منها.

ولنفترض اخيراً زاوية القطع الايسر . من هذا المثلث . رمزاً للبقاء . فهناك ايضاً ابعاد ثلاثة تنبثق عن هذه الزاوية : البعد الأول (في الوسط) يصور البقاء الذاتي . البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور البقاء الصفاتي. البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور البقاء الفعلي .

وكل بعد من ابعاد هذه الزاوية ينتهي بدائرة صغيرة : فالاول يحتوي على رقمها العددي المتسلسل (= دائرة البقاء الذاتي : 3 . دائرة البقاء الصفاتي : 2 ؛ دائرة البقاء الفعلي : 1) . واسفل الدائرة يحتوي على رقمها الأصلي (= دائرة البقاء الذاتي : 1 . دائرة البقاء الصفاتي : 2 . دائرة البقاء الفعلي : 3) . — اما داخل الدائرة فيحتوي على عنوان كلٍ منها .

والشكل التالي (= شكل رقم : VIII) يوضح جميع ما تقدم ويلخصه اتم تلخيص .

شكل رقم : VIII

هيكل الولاية وابعاده التسعة

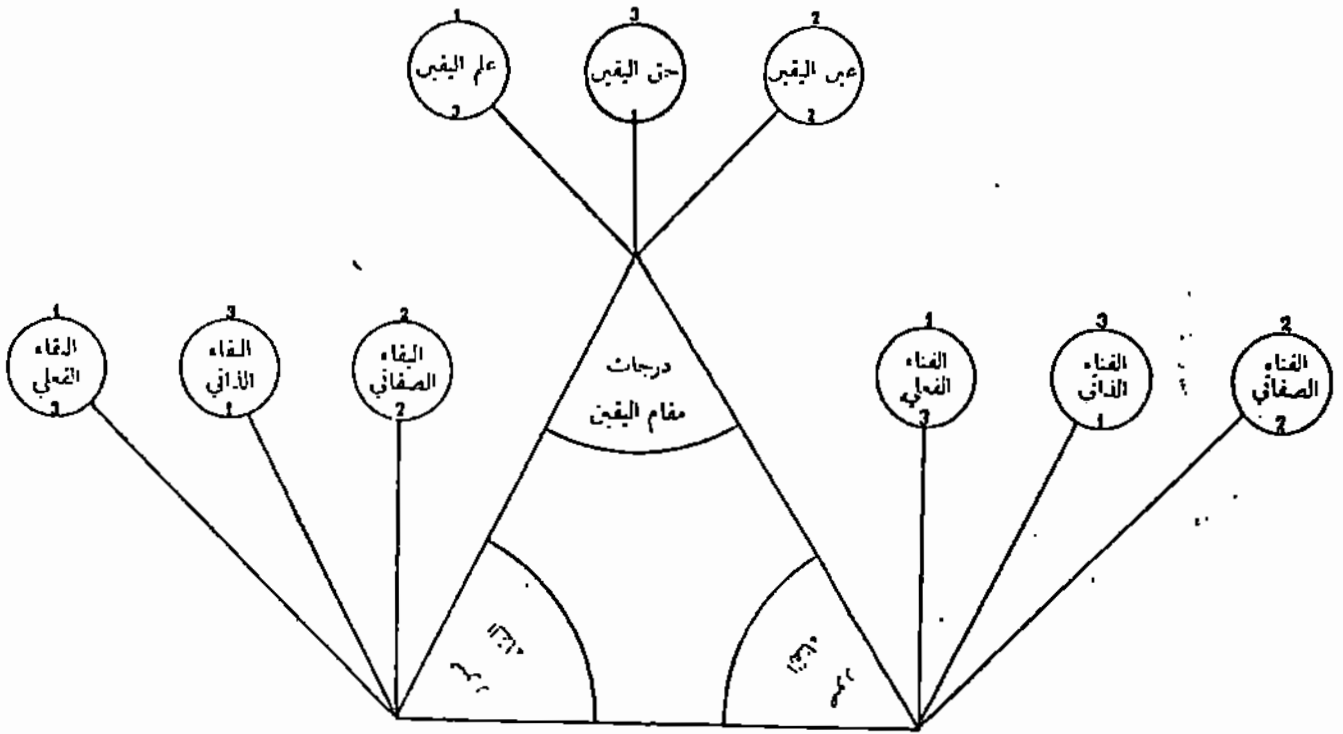

« تجلي الكمال »

في احد الفصول الاخيرة[1] لكتاب « التجليات الالهية » (= تجلي الكمال) . يعرض الشيخ الاكبر امام انظارنا لوحة بيانية هي حقاً خالدة لا في الآداب الروحية للاسلام فحسب ، بل في الآداب الروحية للبشرية بأسرها . انها تحفة فنية في جمالها وبساطتها وعمقها . وفيها يصور صوفي الأندلس فكرته عن الله والكون ومصير الانسان ، اي عن الحقيقة الوجودية في روعة تجلياتها . والحقيقة الانسانية في أرقى اطوارها .

« اسمع يا حبيبي !
انا العين المقصودة في الكون
انا نقطة الدائرة ومحيطها
انا مركبها وبسيطها
انا الأمر المنزل بين الأرض والسماء
ما خلقت لك الادراكات إلا لتدركني بها
فاذا ادركتني بها ادركت نفسك
لا تطمع ان تدركني بادراكك نفسك
بعيني تراني ونفسك
لا بعين نفسك تراني .
حبيبي !
كم اناديك : فلا تسمع ؟
كم اتراءى لك : فلا تبصر ؟
كم اندرج لك في الروائح : فلا تشم ؟
وفي الطعوم : فلا تطعم لي ذوقا ؟
ما لك لا تلمسني في الملموسات ؟
ما لك لا تدركني في المشمومات ؟
ما لك لا تبصرني ؟
ما لك لا تسمعني ؟
ما لك ؟ ما لك ؟ ما لك ؟
انا الذ لك من كل ملذوذ
انا اشهى لك من كل مُشْتَهى

١) رقم هذا التجلي : ٨١ وانظر تعليق الاستاذ الكبير المستشرق هنري كوربين على هذه القطعة الفريدة في كتابه الخالد : « *L'Imagination Créatrice...* » p. 131

انا احسن لك من كل حسن
انا الجميل ! انا المليح !
حبيبي !
حبني . لا تحب غيري
اعشقني . همْ فيّ
لا تهم في سواي
ضمّني . قبّلني
ما تجد وصولا مثلي
كلٌّ يريدك له
وانا اريدك لك
وانت تفر مني
يا حبيبي !
(انت) ما تنصفني :
ان تقرّبتَ اليّ
تقربتُ اليك اضعاف ما تقربتَ به اليّ
انا اقرب اليك من نفْسك ونَفَسك .
من يفعل معك ذلك غير من المخلوقين ؟
حبيبي !
(انا) اغار عليك منك
لا احب ان اراك عند الغير
ولا عندك
كن عندي بي
اكن عندك
كما انت عندي
وانت لا تشعر
حبيبي !
الوصال . الوصال .....
تعالَ !
يدي ويدك
ندخل على الحق — تعالى ! —
ليحكم بيننا حكم الابد ..... »

لا تتعارضان ولا تتمانعان ؛ بل تتعانقان وتتحدان . — (وموقف شيخ الاسلام في هذه القضية يختلف تماماً عن موقف المعتزلة ؛ وهو في غاية الخطورة والأهمية) .

والسبب في هذا — اي في انسجام الوحدة والكثرة واتحادهما في مقام الالوهية — ان الجناب الآلهي له من ذاته الاطلاق الكلّي الشامل - وهو من ثَمَّ ينزه عن كل مزاحمة او معارضة او مناقضة .

وهذا السبب عينه ، وجب الايمان بصفات « التشبيه » الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ و « إجراؤها » على ظاهرها . مثل الاستواء على العرش . والتبسّم . والضحك . والغضب . واد له — سبحانه ! — يدين مبسوطتين . وقدمين ثابتتين ؛ وأعيناً ... الخ . فهذه ؛ وامثالها . صفات وشؤون آلهية حقيقية ؛ غير مجازية . وهي في المخلوقات دالّة على حدثهم وامكانهم . وفي الخالق دالة على ازليته وابديته ؛ لانها حين تطلق على الذات الآلهية المقدسة ؛ ترتفع عنها سمات الحدوث والامكان والتحديد . وبتعبير اوضح : حين تطلق صفات التشبيه ، بلسان الشارع ؛ على الذات الآلهية : تستحيل خصائصها الامكانية والحدثية — بفعل معجز ... — الى خصائص ايجابية ؛ ازلية ؛ خالدة .

وكذلك الأمر ايضاً بالقياس الى « كثرة الصفات وتنوعها » في الجناب الآلهي . انها لا تتنافى مع « وحدة الذات » ؛ بل تكشف عنها وتدل عليها . ان كثرة الصفات وتنوعها . في هذا الموطن ؛ هي كثرة وتنوع من طبيعة « الكيف » لا من طبيعة « الكمّ » : فهي ليست بكثرة مادية او في ذي مادة ؛ بل هي روحية ؛ معنوية ؛ حقيقية تدل على غناء الذات الالهية .

توحيد الربوبية

والمظهر الثاني لمبدأ التوحيد ؛ عند شيخ الاسلام ابن تيمية ؛ هو ما يطلق عليه اسم « توحيد الربوبية » . وهذا اقرار من طرف العبد بوجود رب واحد ؛ واحساس عميق بشمول فعله لكل شيء وتقديره كل شيء وهدايته لكل شيء . — ولكن ما معنى هذا على سبيل التدقيق ؟ ما هو الفرق الحقيقي بين هذا اللون من التوحيد وبين سابقه ؟

تضطلع « فكرة الصفات » بدورين هامين وتقوم بالدلالة على امرين أساسين ؛ في المنهج التفكيري واللاهوتي لابن تيمية . فمن جهة ؛ تظهرنا

التوحيد » . — « تجلي توحيد الفناء » . — « تجلي اقامة التوحيد » . — « تجلي توحيد الخروج » . — « تجلي تجلي التوحيد » .....

... وهكذا نحو من خمسين فصلاً ، كلها مخصصة لموضوع « التوحيد » في مختلف جوانبه ومشاكله[1] . وكذلك تبدو « قضية التوحيد » في صورة « الحقائق الكلية » ، بالقياس الى الضمير البشري ومصيره النهائي : ان « التوحيد » ينتظم كيان المرء كله : ارادة وفكراً . حساً ووجداناً ، روحاً وجسداً . في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...

الظاهرة التاريخية . ثانياً . — لم يكتف الشيخ الأكبر باثارة مشكلة التوحيد في صورة « القضايا الكلية » ، بل عرضها ايضاً على صعيد التاريخ . وفي نطاق « المسائل الزمنية » ، مع « شخصيات تاريخية » هي موضع الاجلال والتقدير في العالم الاسلامي كله .

فابن عربي يروي لنا حديثه مع ذي النون المصري وابي القاسم الجنيد

---

١) يمكن تقسيم هذه الفصول الى قسمين : الأول ، كان الاسلوب فيها على شكل حوار . وهي الفصول الآتية : تجلي المناظرة (رقم ٥٤) ؛ — تجلي ثقل التوحيد (رقم ٥٦) ؛ — تجلي الملة (رقم ٥٧) ؛ — تجلي بحر التوحيد (٥٨) ؛ — تجلي سريان التوحيد (٥٩) ؛ — تجلي تجلي التوحيد (٦٦) ؛ — تجلي توحيد الربوبية (٦٧) ؛ — تجلي روي التوحيد (٦٨) ؛ — تجل من تجليات المعرفة (٦٩) ؛ — تجلي النور الاحمر (٧٠) ؛ — تجلي النور الأبيض (٧١) تجلي النور الاخضر (٧٢) ؛ — تجلي نور الغيب (٧٥) ؛ — تجل من تجليات التوحيد (٧٦) . — القسم الثاني من هذه الفصول كان اسلوبها عادياً ، على غير طريق الحوار . وهذا القسم يدور حول موضوعين اساسين : الأول خاصة بفكرة الشيخ الأكبر عن « وحدة الوجود » (وهذا هو الجانب النظري لمقالة التوحيد) ، وذلك بالفصول الآتية : تجلي الحق والأمر (رقم ٥٣) ؛ — تجلي لا يعلم التوحيد (رقم ٥٥) ؛ — تجلي جمع التوحيد (٦٠) ؛ — تجلي تفرقة التوحيد (٦١) ؛ — تجلي جمعية التوحيد (٦٢) ؛ — تجلي اقامة التوحيد (٦٤) ؛ — تجلي توحيد الخروج (٦٥) ؛ — تجلي الشجرة (٧٣) ؛ — تجلي توحيد الاستحقاق (٧٤) ؛ — تجلي العزة (٧٧) ؛ — تجلي الكبار (٨١) ؛ — تجلي خصوص المحبة (٨٢) ؛ — تجلي بأي عين تراه (٨٤) ؛ — تجلي من تجليات الحقيقة (٨٥) ؛ — تجلي تصحيح المحبة (٨٦) ؛ — تجلي كيف الراحة (٨٨) ؛ — تجلي الواحد لنفسه (٩٠) ؛ — تجلي العلامة (٩١) ؛ — تجلي من انت ومن هو (٩٢) ؛ — تجلي الكلام (٩٣) ؛ — تجلي الحيرة (٩٤) ؛ — تجلي الشان والسر (٩٥) ؛ — تجلي الوجيين (٩٦) ؛ — تجلي القلب (٩٧) ؛ — تجلي خراب البيوت (٩٨) ؛ — تجلي الدور (١٠١) ؛ — الموضوع الثاني من هذه الفصول . يتصل بالسلوك الروحي والمعاملات الصوفية (وهذه هو الجانب العملي لنظرية التوحيد) . وهذا خاص بالفصول الآتية : تجلي توحيد الفناء (رقم ٦٣) ؛ — تجلي النصيحة (رقم ٧٨) ؛ — تجلي لا يغرنك (رقم ٧٩) ؛ — تجلي عمل في غير معمل (رقم ٨٠) ؛ — تجلي نعوت الولي (٨٣) ؛ — من تجليات الفناء (رقم ٩٩) ؛ — من تجليات البقاء (رقم ١٠٠) . — هذا ، وينبغي ان يلاحظ ان فصول التوحيد التي كان اسلوبها على شكل الحوار ، والتي سبق ان نوهنا بها ، كلها تدور حول فكرة « وحدة الوجود » كما يراها ويتصورها الشيخ الاكبر .

وابي سعيد الخراز وسهل التستري والحلاج وابن عطاء والمرتعش... الخ. ويقص علينا نبأه العجيب حين سرى في «النور الاحمر والابيض والأخضر»...حين التقى بالامام علي وابي بكر الصديق وعمر الفاروق — رضي الله عنهم جميعاً! —

مع كل هؤلاء «الاشخاص التاريخيين». نرى الشيخ الاكبر يحاور فيطيل الحوار. ويناقش فيطيل النقاش. ويتجاهل. ويتساءل. ويثير المشاكل. ويظهر المتناقضات... وقصده الوحيد من وراء كل ذلك: الكشف عن «حقيقة التوحيد» التي هي اساس الحياة الدينية والعقلية والروحية.

وهكذا تتجلى امام بصائرنا «قضية التوحيد» في اطارها الرمزي: ان «التوحيد» ليس مشكلة الزمان الحاضر بقدر ما كان مشكلة الزمان الماضي وبقدر ما سيكون مشكلة المستقبل. أجل! ان «التوحيد» هو مأساة الانسان في كل زمان وفي كل مكان. — لا! ان «التوحيد» هو عظمة الانسان في كل زمان وفي كل مكان. — وصدق الله — تعالى! — حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ (= امانة التوحيد والولاء لأئمة التوحيد) عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا[1]﴾.

الظاهرة الفكرية: ثالثاً واخيراً. — حين نقرأ بتأمل وامعان «نصوص التوحيد»: المنتشرة على صفحات «كتاب التجليات الآلهية»: ندرك مباشرة اننا ازاء تيارين مختلفين في البيئة الصوفية (وفي التفكير الاسلامي بوجه عام) تجاه مشكلة التوحيد.

ان الذي اراد ان يفصح عنه الشيخ الاكبر: من خلال محاوراته مع كبار الصوفية القدامى: هو ان هذه المسألة الهامة لم توضع: اولاً في نطاقها الصحيح: وثانياً لم تحدد ابعادها وموضوعاتها بدقة: واخيراً لم تنل ما تستحقه من عناية وتقدير واخلاص.

وفي نظر ابن عربي، ان الاوائل من الصوفية (وغير الصوفية... ايضاً) لم يتوفر لهم — او لم يكن في ميسورهم — ان يدركوا النتائج الحاسمة لمفهوم

---

١) سورة رقم ٣٣ «سورة الأحزاب» آية رقم ٧٢. — وانظر التفسير الرائع لهذه الآية الكريمة من مقالة الاستاذ المستشرق الكبير هنري كوربين بعنوان: «*Le Combat spirituel du shi'isme* (*Eranos-Jahrbuch*, XXX). Zürich, Rhein-Verlag, 1962, pp. 69-125.

التوحيد في معناه الحقيقي . وبالتالي : لم يستطع الصوفية (وغير الصوفية) الوفاء بمطالب التوحيد كلها .

أجل ! ان الصوفية لم يكونوا « سلبيين » في موقفهم ازاء حقائق التوحيد : فهم لم « يعطّلوا » الذات الالهية عن حليتها وزينتها : اي عن صفاتها الثبوتية : كما فعل بعض « المتكلمين » ذوي النزعة الفكرية المتطرفة . وهم لم يكونوا « نظريين » في هذا المقام : كما كانت الأشاعرة والماتريدية . ان شيوخ التصوف اقتحموا « لجة التوحيد » وخاضوا غماره : بالفكر والارادة . بالحس والذوق . انهم جاهدوا في سبيله مخلصين : وحاولوا ان يكونوا مثالاً صادقاً لحقائق التوحيد . وشهادة حية عنه .

ومع ذلك . يرى الشيخ الأكبر ان الصوفية الاوائل لم ينجحوا كل النجاح تجاه مقتضيات التوحيد الكبرى وامام مشاكله العويصة . بل هم — بغير قصد منهم — لم يتحاموا عن الوقوع في حبائل « الشرك الخفي » الذي هو في المستوى العقلي ، أسوأ سبيلاً من « الشرك الجلي » في المستوى الديني !

لا شك ان الصوفية قد جاسوا خلال ديار « التوحيد الالوهي » وتعمقوا معانيه واستطلعوا سرائره وكانوا مُثُلاً صالحة له . إلاّ انهم : كما يرى ابن عربي ، لم يرتفعوا الى قمة « التوحيد الوجودي » : الذي هو « كمال » التوحيد الاول : اذ هو الذي يجعل هيكل التوحيد الالوهي مبنياً على اسس ثابتة وهو الذي يمنح الانسان حق جدارة واستحقاق لقب « الموحد الحقيقي » : اي كونه « من اهل التوحيد الحق » : و « من اهل الحق في التوحيد » .

ولكن هذا كله يتطلب منا ، قبل كل شيء : ان نستعرض باجمال موقف الاسلاميين في « مسألة التوحيد» لنقارن ذلك بموقف الشيخ الاكبر في الموضوع ذاته .

مكانة التوحيد في الدين الاسلامي

التوحيد هو عقيدة الاسلام الكبرى وشعاره المميز له : فقد اشتهرت الرسالة المحمدية في التاريخ الديني بكونها دعوة التوحيد ، كما ان علوم العقائد والتصوف في الاسلام قد عرفت بذلك ايضاً . — ولكن بينما كان « التوحيد » في « علوم العقائد » (عند الاشاعرة والماتريدية خاصة) مسألة نظرية بحتة : اي دراسة الوحدة الالهية واقامة البراهين عليها من الوجهة النقلية والعقلية : كانت هذه القضية نفسها — اعني قضية التوحيد — في حقول

المعارف الصوفية بمثابة اختبار تام للوحدة ووعي عميق بها . ان الموقف الصوفي في « التوحيد » (كما سيتضح ذلك فيما بعد) هو بديا ذوق وتجربة مباشرة ، ان صح مثل هذا التعبير ، للوحدة الالهية ، من حيث اطلاقها عن كل شيء ، وسريانها في كل شيء .

ومما لا ريب فيه ان عقيدة التوحيد هي اساس الاديان جميعاً ، فهي قدر مشترك بينها كلها . وفي نظر القرآن ، ان هذه العقيدة هي الغرض الأصيل لوحي السماء وبعثة الانبياء[1] . بيد ان « التوحيد » قد اتخذ ، في ظلال الدعوة المحمدية ، مفهوماً جديداً وظهر بصورة مبتكرة متميزة : ان موقف الاسلام في مسألة التوحيد كان مصدر سائر عقائده اللاهوتية ونظمه التشريعية وشعائره الدينية . فالفكرة الاسلامية عن الألوهية والكون والانسان مصطبغة كلها بمبدأ التوحيد : فعن وحدة الخالق انبثقت نظريات الاسلام الخاصة بوحدة الأديان والأكوان والجنس البشري .

نظرية التوحيد عند الاسلاميين

حين يستعرض الباحث نظرية التوحيد وتطورها في التفكير الاسلامي (وخاصة في بيئة اهل السنة) يجد انها شغلت دوراً هاماً عند ثلاث فرق من الاسلاميين : وهم المعتزلة والسلفية واهل التصوف . فكل واحدة من هذه الفرق كان « التوحيد » ميداناً فسيحاً لنشاطها العقلي ، وحقلاً خصباً

---

١) لنستمع الى القرآن الكريم في هذا الموضوع : « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟ — قالوا : بلى ! شهدنا . — ان تقولوا (= هذا التذكير على لسان الوحي بذلك العهد الأزلي لئلا تقولوا) يوم القيامة : إنا لنا عن هذا (= عن معرفة هذا العهد) غافلين . — او تقولوا : انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . افتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ — وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) ؛ — (سورة الاعراف (رقم ٧) آيات : ١٧١–١٧٣) . — هذه الآيات على جانب كبير من الخطورة ، اذ نجد فيها تحديداً واضحاً لـ « فلسفة القرآن الدينية » وتبريراً لبعثة الانبياء . فالتوحيد : الذي هو الموضوع الاساسي للوحي الالهي : مرتبط في نظر القرآن بواقعة (Evénement) غير زمنية ، وهي ميثاق الذر او ميثاق الارواح . فيكون « التوحيد » على هذا الاعتبار من مستوى القيم او الحقائق « غير الزمنية » التي لا تقبل « التطور » ولا « التغير » . وهذه الواقعة غير الزمنية تدل على مبدأ الانسان في غير الزمان واصله الازلي : فهي اذن تكشف عن معنى وجوده الحقيقي في هذه « الحياة الارضية الزمنية » ، اي عن وفائه بميثاق الارواح في « عالم الذر » . — انظر تفصيل هذا كله في :
« *De la philosophie prophétique en Islam shi'ite* », par H. Corbin, in *Eranos-Jahrbuch* XXXI / 1962, pp. 52-56; — « *Histoire de la philosophie islamique* » (I) Id. pp. 16 ss., Paris 1964.

لانتاجها الفكري . وقد خلّفت هذه الفرق الثلاث للاجيال من بعدها : تراثاً علمياً حول مسألة التوحيد يتصف حقاً بالاصالة والعمق والشمول .

ويستطيع مؤرخ الفكر الاسلامي ان يجد بغير عناء : من خلال اراء كبار المعتزلة والسلفية والصوفية في مباحث التوحيد ، صوراً واقعية لتفكير ايجابي أثيرت مشاكله وألفت مواده من مواضيع اسلامية صحيحة ثم صيغ منها نظرية عامة أمكن تطبيقها على مظاهر متعددة من الحياة الدينية والاخلاقية والاجتماعية .

التوحيد عند المعتزلة

كان رجال الاعتزال على ما يبدو اولَ من اثار مشكلة التوحيد في اجواء العالم السنّي[1] . كما كانوا من طلائع المفكرين المسلمين الذين ارسوا دعائم هذه القضية الهامة على اسس نظرية محكمة . وقد جاهدوا باخلاص في سبيل تحقيق مبدأهم التوحيدي في ميادين الفكر وفي السياسة على السواء.

فكلنا نعلم ان مقالة المعتزلة في التوحيد هي أولى مقالاتهم الخمسة الشهيرة التي لا يتم وصف الاعتزال إلا بها وبالدفاع عنها . وهي : القول بالتوحيد ؛ — والعدل ؛ — والوعد والوعيد ؛ — والمنزلة بين المنزلتين ؛ — والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الموطن ؛ ان « مقالة التوحيد » عند المعتزلة كانت الأصل لآرائهم الدينية في مسألة الصفات والذات وخلق القرآن ونفي الرؤية الآخية . كما ان هذه المقالة نفسها هي على صلة وثيقة بأبحاثهم في العدل الالهي وحرية اختيار الانسان ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . — وهذا مصداق قولنا من قبل : ان مبدأ التوحيد ، الذي هو في

---

١) المراجع والدراسات عن فرقة المعتزلة كثيرة ومتنوعة ، نخص بالذكر منها : « دائرة المعارف الاسلامية » (النص الفرنسي) المجلد ٣ /٨٤٣–٨٤٦ (المقالة بقلم المستشرق الكبير ليفي بروفنسال وعليها بعض مصادر متعددة) ؛ — « فجر الاسلام » ، المجلد الثالث ، لاحمد امين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ — « المعتزلة » لزهدي حسن جارالله ، القاهرة ١٩٤٧ ؛ — « كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي » لابي الحسين عبد الرحيم بن محمد ... الخياط المعتزلي ، نشر نيبرج ، القاهرة ١٩٢٥ واخيراً البير نادر ، بيروت ١٩٥٧ (مع ترجمة فرنسية) ؛ — « *Le système philosophique des Mo'tazilites* » par A. Nadre, Beyrouth 1956 ; « *L'histoire de la philosophie islamique* » (I) par H. Corbin, pp. 152 sq. (Paris 1964) ; — « *Le renouveau du Mo'tazilisme* » par le R.P. Caspar, (in *M.I.D.E.O.* IV, 1957), pp. 141-201.

صميمه فكرة لاهوتية : كان الاساس لحلول عملية في مستوى اخلاقي واجتماعي : عند المفكرين الاسلاميين .

وفي الحقيقة : ان المعتزلة لم يبتدعوا القول بالتوحيد او ينفردوا به ؛ اذ هو شعار المسلمين جميعاً . ولكنهم امتازوا عن سائر الفرق الاسلامية ببذا الفهم الخاص للوحدة الالهية . وبهذا المعنى الدقيق الذي اطلقوه عليها . وهم من اجل ذلك قد عرفوا في تاريخ العقائد بأهل التوحيد ، وكان هذا في الواقع مبعث افتخارهم ومثار اعتزازهم .

ان محافظة على الوحدة الالهية في صفاتها وسموها كانت مدار ابحاث المعتزلة في الالهيات . واساس تفكيرهم العميق في مسائله . كما ان الحرص على انتصار المبدأ التوحيدي في حياة الفرد وفي حياة المجتمع ، كان الشغل الشاغل لهم — في الاخلاقيات والاجتماعيات . — وقد ابقى لنا الامام الاشعري في « مقالات الاسلاميين » نصوصاً عديدة تصور آراء الاعتزال في « التوحيد » وتلخصها أحسن تلخيص . نختار منها النص التالي :

« ان الله واحد ليس كمثله شيء . وليس بجسم ... ولا
« شخص ولا جوهر ولا عرض ... ولا يجري عليه زمان...
« ولا يجوز عليه الحلول في الاماكن . ولا يوصف بشيء
« من صفات الخلق الدالة على حدثهم ... وليس بمحدود .
« ولا والد ولا مولود .... ولا تدركه الحواس ... ولا يشبه
« الخلق بوجه من الوجوه ... ولا تراه العيون . ولا تدركه
« الأبصار . ولا تحيط به الاوهام . — شيء لا كالأشياء .
« عالم . قادر . حي . لا كالعلماء القادرين الأحياء . —
« وانه قديم وحده . لا قديم غيره . ولا اله سواه ... ولا معين
« (له) على ما أنشأ وخلق ما خلق ... ولم يخلق الخلق على
« مثال سبق[1] .... »

هذا النص ، وامثاله كثير في هذا الباب : على جانب كبير من الاهمية . انه ، من جهة ، يدلنا بوضوح على مدى سريان الالفاظ الفلسفية في الابحاث الاعتزالية . وعلى مقدار تلقيهم واستيعابهم للاتجاهات الفكرية السائدة في عصرهم . فمثل هذه المفردات : شخص ، جوهر ، عرض ،

١) نقلاً عن كتاب « تاريخ الفلسفة العربية » لحنا فاخوري وخليل الجر ، الجزء الاول ، ص : ١٤٥–١٤٦ (نشر دار المعارف ، بيروت ١٩٥٧) .

حلول ، قدم : مثال . — ذات معان فلسفية محددة ؛ وهي منتشرة بصورة خاصة في الاوساط الفلسفية واللاهوتية في ذلك العصر وما قبله .

ومن جهة اخرى . يبين لنا هذا النص الهام موقف المعتزلة تجاه معضلة التوحيد بالقياس الى سائر الفرق والمذاهب :

فقولهم : « ان الله لا يوصف بشيء من صفات الخلق ... » ؛ « ... ولا تراه العيون ولا تدركه الابصار » ؛ — يخالف جمهور اهل السنة في هذا الموضوع ؛

وقولهم : « ... ولا والد ولا مولود » . يقصدون بذلك الرد على النصارى « الذين يؤمنون بان المسيح هو ابن الله . المولود من الآب قبل الدهور . والمساوي له في الجوهر[1] » ؛

وقولهم : « ... ولا معين له على ما أنشأ ... » . يريدون به استقلال الحق — تعالى ! — بالخلق ؛ ونفي الوساطة عنه ؛ مادية كانت او معنوية ؛

وقولهم : « ... ولم يخلق الخلق على مثال سبق ... » ؛ يعارضون به

---

١) نفس المصدر المتقدم ؛ ص : ١٤٦ . — طبعاً ، ان قيمة هذا « الرد » محدودة بالقياس الى ما فهمه « المعتزلة » من معنى « الولادة » القائمة بالذات الالهية المقدسة ؛ اي ان « الولادة الالهية » تتنافى حتماً مع وحدة الألوهية ؛ وبالتالي تتنافى مع عقيدة التوحيد . ومع ذلك ؛ فالعقيدة المسيحية الثابتة التي تؤمن « بالآب والابن » ؛ تؤمن في نفس الوقت بالآله الواحد . — وهذا يدل في نظر الوعي المسيحي السليم ؛ على عدم تناقض هاتين العقيدتين : عقيدة الوالد والمولود وعقيدة وحدة الآله المعبود . — هذا ؛ ويلاحظ الآن كثير من الباحثين الغربيين ان النصوص القرآنية التي ترد على عقيدة بنوة المسيح الالهية او عقيدة الثالوث (= التثليث) تتعلق ؛ في الحقيقة ، ببعض « البدع » المسيحية الخاصة بهاتين العقيدتين ؛ لا بالأساس الثابت للديانة المسيحية نفسها . فانه من المعروف تاريخياً ان عقيدة « التجسد » وعقيدة « الثالوث » ؛ وغيرهما من العقائد الاساسية للمسيحية قد شوهتا وحرفتا عن اصلها الصحيح (اي فهمتا ونسرتا على وجه خاطئ) عبر التاريخ . وتوجد آثار هذا التحريف في بعض « البدع » المنتشرة في الجزيرة العربية وما حولها (= لدى بعض اليعاقبة والنساطرة وغيرهما) حول النوحية العذراء ؛ والتفسير الخاطئ لمعنى بنوة المسيح الالهية وبالتالي لمعنى «سر التجسد» و«الثالوث الأقدس» . — انظر تفصيل ذلك في : « *Le Coran et la Révélation judéo-chrétienne* » par D. Masson, I, pp. 84-104 (Paris, Adrien-Maisonneuve, 1958)

وينظر بصورة خاصة المراجع العديدة المذيلة بها هذه الدراسة القيمة . — وهذه الملاحظة التاريخية القيمة ؛ على جانب كبير من الاهمية . اذ هي تزيل بعض الاوجه « المتناقضة » ظاهرياً في نصوص القرآن وتعاليمه ؛ فانه ؛ من جهة ؛ يؤمن القرآن نفسه بكل ما سبقه من وحي الانبياء ؛ ومن جهة اخرى ؛ يرد القرآن ايضاً على بعض « التعاليم » اليهودية والمسيحية . فلا بد في هذه الحالة ان يكون « الرد المنصب على بعض هذه التعاليم » ؛ مقصوداً به لا « التعاليم الاساسية في اليهودية او المسيحية » ، بل ما اصابها من « تحريف » و « تزييف » (اي تفسير خاطئ مشوه) على يد بعض « المبتدعة » من الفرق الضالة .

نظرية « المثل الافلاطونية » . التي ترى ان لكل شيء في الوجود المحسوس مثالاً في الوجود اللامحسوس : به ما وجد ما وجد ، وعلى حسبه انشأ ما انشأ[1] ؛

واخيراً ، قولهم : « ... خَلَقَ ما خَلَقَ ... وَيَخْلُقُ ... » . يردون بذلك على نظرية « الفيوضات » التي قال بها افلوطين ونقلها عنه فلاسفة المسلمين[2] .

ويجب ان لا يغيب على الاذهان ان غلوّ المعتزلة في تقرير الوحدة الالهية والدفاع عنها ، كان القصد منه ايضاً تحديد موقفهم من ثنائية المجوسية . التي تعتبر الالوهية مؤلفة من عنصرين متضادين : الخيرية او النورية . ويمثلها الاله أَرْمُزْدُ : والشرية او الظلمة . ويمثلها الاله أهْرِمَنْ ؛ — ومن عقيدة الثالوث المسيحية ، التي تعتبر الالوهية مؤلفة من اقانيم الاب والابن والروح القدس[3] .

=

ومع ذلك ، ورغم الاعتراف بمجهود رجال الاعتزال في حقول الفكر والادب والعلم ، فان نظرتهم للذات الالهية قاصرة ، ونظريتهم في « الوحدة » هي جزئية غير شاملة . انهم عرضوا علينا فكرة عن الالوهية مقيدة في اطلاقها . وكان الأولى بهم تنزيه الالوهية عن كل قيد ، حتى عن قيد الاطلاق ...

هذا ، وقد تفرّع عن مقالة المعتزلة في التوحيد مشاكل كبرى ، كان لها اصداء عميقة في العالم الاسلامي كله ؛ وهي مشكلة الصفات الالهية ومشكلة خلق القرآن واخيراً مشكلة « الرؤية » .

فيرى علماء الاعتزال ان الصفات الالهية لا حقيقة لها فيما وراء العقل

---

١) انظر « تاريخ الفلسفة العربية » لحنا الفاخوري وخليل الجر ، ص : ١٤٦ (الجزء الاول) .

٢) انظر « تاريخ الفلسفة العربية » لحنا الفاخوري وخليل الجر ، ص : ١٤٦ (الجزء الأول) .

٣) انظر « تاريخ الفلسفة العربية » لحنا الفاخوري وخليل الجر ، ص : ١٤٦ (الجزء الأول) .

وانظر ما تقدم في الصفحة السابقة مباشرة التعليق رقم (١) . —

الانساني[1]. انها في جوهرها معان مجردة ينتزعها الفكر من تلقاء نفسه ويطلقها على الذات المقدسة : كنعوت لكمالها المطلق وشؤون لماهيتها المتعالية. اما وصف الحق – تعالى ! – بها او اتصافه فيها فهذا يؤدي الى ضرب شنيع من الكثرة تتنزه عنه الذات العزيزة الجناب !

ويعتبر المعتزلة الكتب السماوية : بما فيها القرآن الكريم : بمثابة «ظواهر» الاهية فائقة حقاً. إلاّ ان هذه «الظواهر» في مستوى «الظواهر» الكونية تماماً : اي انها مخلوقة وحادثة[2]. والقول بأزلية القرآن والتوراة والانجيل ؛ وغيرها من الكتب السماوية : يفضي الى تعدد القدماء. الأمر الذي يتنافى مطلقاً مع مبدأ الوحدة الالهية السامية.

أما مسألة «الرؤية» فقد انكرها المعتزلة اصلاً : في الدنيا وفي الآخرة. وقد لجأوا الى تأويل النصوص الدينية الواردة في هذا الموضوع : لأن ادعاء

---

١) ان المعتزلة بعد ان اتفقوا جميعاً على نفي الصفات ، اختلفت عباراتهم في هذه القضية : ١) فابو الهذيل العلاف يعتبر الصفات «وجوهاً» للذات الآلهية، فيقول : ان «الله عالم بعلم هو ذاته ، وقادر بقدرة هي ذاته ، وحي بحياة هي ذاته» ... الخ . يعني ان الذات الالهية الواحدة ، تسمى : باعتبار تعلقها بالمعلوم : علماً ؛ وبالمقدور قدرة ؛ الخ ... ٢) والنظام ينسر الصفات على نحو سلبي: فمعنى كونه – تعالى ! – عالماً انه ليس بجاهل ؛ ومعنى كونه قادراً انه ليس بعاجز ... ٣) وابو هاشم الجبائي يرى الصفات بمثابة «احوال» للذات الآلهية : فيقول : ان الله عالمية لا علما ؛ وقادرية لا قدرة ... انظر «كتاب الملل والنحل» للامام الشهرستاني : القسم الاول : ص : ٢٥٣–٧٥ ؛ وما بعدها (نشر محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة سنة ١٩٥٦) ؛ – وكتاب «التبصير في الدين» ص : ٤٢ ؛ – وكتاب «الانتصار» ص: ٧٥ ؛ – و«شرح المقاصد» ج ٢ /٥٦ ؛ – و «منهاج السنة» لابن تيمية ، ج ١ /٢٣٧ (نقلاً عن كتاب «ابن تيمية السلفي» لمحمد خليل هراس، طنطا سنة ١٩٥٢ ، ص ٩٧–٩٩) . – اما آراء الاسلاميين بعامة والسلفية بخاصة حول مسألة الصفات فتراجع في «الشرح والابانة عن اصول السنة والديانة» لابن بطة العكبري (الترجمة الفرنسية ص ٨٧ وما بعدها والتعليقات عليها للاستاذ المستشرق الكبير هنري لاروست (ط. المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٨) .–

٢) انظر «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية : ج ١ ص ٤٢ ؛ ٤٣ ؛ ٤٤ ؛ ٩٦ ؛ ٩٨ . – و «منهاج السنة» لابن تيمية ايضاً ، ص ٢٣ (ج ١) (نقلاً عن «ابن تيمية السلفي» لمحمد خليل هراس ، طنطا ١٩٥٢ (ص ١٢٢–١٢٨) وانظر ايضاً «نظريات الاسلاميين في «الكلمة» (*The Logos*) لابي العلاء عفيفي ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ١٩٣٤ ، ص ٣٧–٤٣ . – وبخصوص مختلف الآراء الاسلامية في هذا الموضوع الهام ، يراجع كتاب «الشرح والابانة ...» لابن بطة العكبري (الترجمة الفرنسية ص ٨٣–٨٦ والتعليقات الكثيرة على ذيل الترجمة للاستاذ لاروست ، ط. المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٨) .

« الرؤية » يلزم عنه استحالة عقلية : وهو تحديد الذات الالهية في نطاق الزمان والمكان والمادة[1] !

٥

ان كثرة « الصفات » ، على رأي المعتزلة ، تناقض وحدة «الذات» . ولكن « الصفات » في حقيقتها هي مجالي كمالات « الذات » ومظاهر وجودها ؛ فاذا « عُطِّلت » عنها الألوهية . فماذا يبقى منها ؟

وبتعبير اكثر وضوحاً . اذا انتفت « الصفات الثبوتية » عن ذات الحق — تعالى ! — فكيف تُفهم صلات الانسان بخالقه : في أمله ورجائه . في عبادته ونسكه . في نجواه وتأملاته ؟ بل كيف تُفسَّر بالضبط ظواهر الخلق في الوجود ؟

ان تصوّرنا ذاتاً الاهية « معطّلة » . اي بلا صفات ولا نعوت ولا شؤون . هو تماماً كتصورنا « بئراً معطّلة » ؛ اي لا ماء فيها ولا ظل لديها ولا زهر حولها : فكيف يجد ذو الغلة الصادي عندها اطفاء لهيب عطشه في صحراء الحياة ؟

تلك هي بعض النتائج الخطيرة لمقالة المعتزلة في نفسي الصفات ؛ وموقفهم « السلبي » منها .

وكذلك الأمر بخصوص مسألة « خلق القرآن » . اذا كان الوحي السماوي — وهو رمز الصلة الحية بين الخالق والمخلوق ، ومظهر عناية الله الفائقة بالانسان — اقول : اذا كان هذا الوحي في مستوى الظواهر الوجودية الحادثة ؛ فما هي ثمراته في التفسير البشري بالنسبة الى مصيره النهائي وكماله المطلق ؟

فالمسلم الذي يتأمل في القرآن « حكمة مخلوقة » ، لا يتعدّى في تطوره الادبي حدود « العالم المخلوق » ، وبالتالي : لا يرقى الى « الآفاق اللامخلوقة » . ثم هو في ميسوره ان يجد مثل هذه « الحكمة المخلوقة » في نتاج التفكر الانساني . من خلال تجاربه الخاصة في معترك الحياة .

أجل ! ان القول بأزلية القرآن هو الذي يتيح للمسلم ، عبر تأملاته في صفحات الكتاب الالهي ، ان يكتشف « الناموس الأزلي » فيتخذه دستوراً

---

١) بخصوص مسألة « الرؤية » وآراء الاسلاميين فيها ، ، يراجع « كتاب الشرح والابانة .. » لابن بطة العكبري (الترجمة الفرنسية ، ص ٨٩—٩٠ ، والتعليقات على الترجمة . بقلم الاستاذ هنري لاووست ؛ ط. المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٥٨) .

في الحياة ؛ وان يعثر على « الحكمة اللامخلوقة » لتقوده صعداً الى سماء الخلود . وهكذا يعيش المسلم حياة الملائكة الاطهار على هذه الأرض : ارض الدموع والآلام وعرق الجبين .

واخيراً : اذا امتنعت الرؤية الالهية في « نعيم الجنان » . كما يرى المعتزلة : فما هو هذا النعيم ؟ وما هي تلك الجنان ... ؟ أليس النظر الى « وجه الحبيب » هو وحده الجنة . وهو وحده النعيم ؟ اليس الحجاب عن « رؤية الحبيب » هو وحده العذاب ؛ وهو وحده الجحيم ؟

٥

ومهما يكن في الأمر من شيء ؛ فان نظرية المعتزلة في « التوحيد » اذا اخفقت في ميدان الآلهيات ، فقد كتب لها النجاح التام في ميدان الاخلاقيات والاجتماعيات . فمقالتهم في « العدل » . وهي متفرعة عن « مقالة التوحيد » . كانت مصدر رأيهم الجريء في اختيار الانسان ولزوم الامر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر . وكلا الأمرين ، اعني القول بالاختيار الانساني ولزوم الأمر بالمعروف ؛ هما حجر الزاوية للحياة الاخلاقية والحياة الاجتماعية على السواء .

فانه بفضل « الاختيار » او بتعبير ادق : بفضل « حرية الاختيار » يستطيع المرء ان يحقق تكوين شخصيته العالية في جانبيها الارادي والفكري . إذ الحرية هي عماد الارادة في نموها واساس التفكير في تطوره ؛ وبالتالي هي عنوان التكامل الذاتي للمرء والمعيار الصحيح لتبعاته الفردية والاجتماعية .

اما لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فان هذا يعني مسؤولية الفرد عن المجتمع وامامه ومسؤولية المجتمع عن الفرد وأمامه أيضاً . فالكائن الانساني ؛ في نظر المعتزلة ؛ ذو مسؤوليات شخصية باسم حرية الاختيار ، وذو مسؤوليات اجتماعية باسم لزوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . (وهذا ؛ بدون ريب ، مظهر بديع لما نسميه اليوم ؛ « الروح العام » و « العدالة الاجتماعية ») . — وكل ذلك من شأنه ان يكفل للجماعة البشرية تقدماً مطرداً على ممر العصور والأجيال ؛ وان يشيع مبادئ النظام والتعاون بين سائر الأفراد والطبقات .

ومن الطرافة ان يلاحظ في هذا المقام ؛ ان المعتزلة كانوا « مهيّائيين » (Essentialistes : من اتباع نظرية « الماهية المجردة ») في دائرة الآلهيات ، وكانوا وجوديين (بأدق معاني الكلمة وأتمها) في دائرة الاخلاقيات

والاجتماعيات . ولكن حرية الاختيار التي يدافعون عنها والامر بالمعروف الذي يطالبون به ، منبعثان كلاهما عن مبدأ « العدل الالهي » نفسه . ان فكرة رجال الاعتزال عن « العدالة الالهية » كانت الاساس لرأيهم في الاختيار الفردي ولزوم الامر بالمعروف الاجتماعي ؛ وهذا الطابع الخاص من التفكير يضفي على مبادئهم الاخلاقية والاجتماعية كل مظاهر السمو والكمال .

ففي نظر المعتزلة ، حرية الاختيار الانساني لم تدع اليها بواعث اخلاقية أو نفسية فحسب ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تبرره ضرورات اجتماعية فقط . بل كلا الامرين قد انبثقا عن تصور عميق لمفهوم « العدالة الآلهية » . فهذا « العدل » الذي هو مظهر الالوهية في وحدتها المتسامية — اي مظهر وجودها المطلق — هو ، في نفس الوقت ، المصدر الأساسي لحرية الانسان على الأرض ولزوم امره بالمعروف ونهيه عن المنكر . وحرية الاختيار — كلزوم الأمر بالمعروف تماماً — هي المظهر الأتم للضمير البشري في « وجوده المطلق » ، ان في مستواه الفردي او في مستواه الاجتماعي على السواء !

التوحيد عند السلفية

قُدِّر لفكرة « التوحيد » ، في البيئة السلفية ، ان تقوم بنفس الدور الذي قامت به في بيئة المعتزلة ولكن على نمط آخر . كما اتيح لها ان تلقى لديهم ذات العناية التي لقيتها في أوساط المعتزلة . بل ، زيادة على هذا ، لقد ظهرت هذه الفكرة عند المتأخرين من كبار السلفية (عند شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية) في صورة جديدة تمثل الالوهية في مجالي عظمتها ، وتحيط بالنشاط الانساني من سائر جوانبه[1] .

ان الحركة السلفية قائمة على مبدأ التوحيد : كما لاحظ بحق ذلك المستشرق الفرنسي العظيم هنري لاووست[2] . والتوحيد ، في نظر علماء السلف : هو عقيدة وعبادة : وهذا هو الجانب الاخير فيه . كما هو ايضاً

---

١) بخصوص مسألة « التوحيد » عن السلفية بعامة . انظر « كتاب الشرح والابانة .. » لابن بطة العكبري . تحقيق الاستاذ هنري لاووست (قسم الاصطلاحات : مادة : « توحيد » الترجمة الفرنسية) . —

٢) انظر الدرس الافتتاحي (« التدشين ») لمحاضراته في كوليج دو فرانس عام ١٩٥٤ / ١٩٥٥ (الدراسي) . —

انا احسن لك من كل حسن
انا الجميل ! انا المليح !
حبيبي !
حبني . لا تحب غيري
اعشقني . هم فيّ
لا تهم في سواي
ضمني . قبلني
ما تجد وصولا مثلي
كلّ يريدك له
وانا اريدك لك
وانت تفر مني
يا حبيبي !
(انت) ما تنصفني :
ان تقربتَ اليّ
تقربتُ اليك اضعاف ما تقربتَ به اليّ
انا اقرب اليك من نَفْسك ونَفَسك .
من يفعل معك ذلك غير من المخلوقين ؟
حبيبي !
(انا) اغار عليك منك
لا احب ان اراك عند الغير
ولا عندك
كن عندي بي
اكن عندك
كما انت عندي
وانت لا تشعر
حبيبي !
الوصال . الوصال .....
تعالَ !
يدي ويدك
ندخل على الحق — تعالى ! —
ليحكم بيننا حكم الابد ..... »

لا تتعارضان ولا تتمانعان : بل تتعانقان وتتحدان . — (وموقف شيخ الاسلام في هذه القضية يختلف تماماً عن موقف المعتزلة ؛ وهو في غاية الخطورة والأهمية) .

والسبب في هذا — اي في انسجام الوحدة والكثرة واتحادهما في مقام الالوهية — ان الجناب الآلهي له من ذاته الاطلاق الكلّي الشامل . وهو من ثَمَّ يتنزه عن كل مزاحمة او معارضة او مناقضة .

ولهذا السبب عينه . وجب الايمان بصفات « التشبيه » الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة . و « إجراؤها » على ظاهرها : مثل الاستواء على العرش . والتبشش . والضحك ؛ والعجب ؛ واد له — سبحانه ! — يدين مبسوطتين ؛ وقدمين ثابتتين . وأعيناً ... الخ . فهذه . وامثالها . صفات وشؤون آلهية حقيقية . غير مجازية . وهي في المخلوقات دالّة على حدثهم وامكانهم . وفي الخالق دالة على ازليته وابديته : لانها حين تطلق على الذات الآلهية المقدسة ؛ ترتفع عنها سمات الحدوث والامكان والتحديد . وبتعبير اوضح : حين تطلق صفات التشبيه ؛ بلسان الشارع ؛ على الذات الآلهية ؛ تستحيل خصائصها الامكانية والحدثية — بفعل معجز ... — الى خصائص ايجابية ؛ ازلية . خالدة .

وكذلك الأمر ايضاً بالقياس الى « كثرة الصفات وتنوعها » في الجناب الآلهي . انها لا تتنافى مع « وحدة الذات » : بل تكشف عنها وتدل عليها . ان كثرة الصفات وتنوعها . في هذا الموطن ؛ هي كثرة وتنوع من طبيعة « الكيف » لا من طبيعة « الكمّ » : فهي ليست بكثرة مادية او في ذي مادة ؛ بل هي روحية ، معنوية ؛ حقيقية تدل على غناء الذات الالهية .

توحيد الربوبية

والمظهر الثاني لمبدأ التوحيد ؛ عند شيخ الاسلام ابن تيمية ؛ هو ما يطلق عليه اسم « توحيد الربوبية » . وهذا اقرار من طرف العبد بوجود رب واحد ؛ واحساس عميق بشمول فعله لكل شيء وتقديره كل شيء وهدايته لكل شيء . — ولكن ما معنى هذا على سبيل التدقيق ؟ ما هو الفرق الحقيقي بين هذا اللون من التوحيد وبين سابقه ؟

تضطلع « فكرة الصفات » بدورين هامين وتقوم بالدلالة على امرين أساسين ؛ في المنهج التفكيري واللاهوتي لابن تيمية . فمن جهة ؛ تظهرنا

الصفات الآلهية على المعاني او الحقائق الذاتية لواجب الوجود بنفسه . وذلك كالحياة والقدرة والارادة والعلم والكلام ... وهلم جرا . وتسمى هذه المعاني او هذه الحقائق بالصفات الذاتية او النفسية ؛ وموضوعها الخاص هو «توحيد الالوهية» .

ومن جهة اخرى . تكشف لنا « فكرة الصفات » عن الشؤون والافعال للواجب بذاته . وهذه الشؤون والافعال تنقسم بدورها الى قسمين : في مستوى الوجود ؛ كالخلق والاحياء والاماتة ؛ وفي مستوى كمال الوجود : كالهداية والمغفرة والرحمة ... الخ. وموضوع هذه الشؤون والافعال الآلهية . هو « توحيد الربوبية » .

واذن . يختص توحيد الالوهية بالجناب المقدس من حيث وحوده الذاتي . اي وحوده من حيث هو في ذاته وصفاته النفسية . فتوحيد الالوهية : بهذا الاعتبار . هو توحيد نظري مجرد على صعيد الفكر والمنطق ؛ ان امكن مثل هذا التعبير ؛ في مثل هذا المقام .

اما توحيد الربوبية فيتعلق بالجناب الآلهي من حيث وجوده في شؤونه وافعاله ، عبر الاشياء والكائنات . فهو ؛ من هذه الناحية ؛ توحيد عملي تطبيقي على صعيد الوجود والواقع ؛ ان صح مثل هذا التعبير ؛ في مثل هذا المقام .

٥

ومرة اخرى ؛ أفعال وشؤون الاهية في مستوى الوجود ؛ افعال وشؤون في مستوى كمال الوجود : ما معنى كل ذلك ؟ ما هو اساس هذا التقسيم ؟ أليست افعال الله — تعالى ! — موصوفة جميعها بالكمال والاطلاق ؟ — والواقع ان هذه الاسئلة في غاية الأهمية ، والموضوع جد خطير . ولإزالة كل لبس في الأمر ؛ نقول :

ان لله — بصورة عامة — تدبيرين في خلقه : الأول يتصل بوجودهم وحياتهم ؛ والثاني ببقائهم وحفظهم . فالكائنات جميعا موجودة بايجاد الله لها ؛ باقية بحفظه اياها ؛ وكل من الايجاد والابقاء ، مظهر للعناية الالهية العامة ؛ السارية في كل شيء ؛ الحافظة لكل شيء .

ولكن لله — تعالى ! — تدبير آخر يختص بالانسان وحده ؛ وبه يتميز عن سائر الموجودات الحادثة . وهذا التدبير الالهي الخاص يتعلق بكمال وجود الانسان وحياته ، اي بوجوده وحياته في الابد . — ومظهر هذا التدبير الخاص ،

أعني الأداة او الطريقة التي تحقق بها رحمة الله الفائقة بالانسان وعنايته المميزة له . هو الوحي السماوي : النور الذي ينبثق عن ينابيع الحقيقة المطلقة ، ويهدي الانسان قدماً الى جناب الحق — تعالى ! — .

ذلك . لان الكائن البشري . كما نص على ذلك القرآن الكريم . فيه « الروح الالهي » . وهذه الروح التي من طبيعتها الخلود : هي قوام حياته المؤبّدة ومعنى وجوده المخلّد . فالانسان بروحه : من الله بدأ واليه يعود . فوجوده الحقيقي — اي كمال وجوده — لا يتحدد بسيره على ظهر الارض فقط . بل بعروجه الى اعالي السماء . وحياته الحقيقية — اي كمال حياته — لا تنحبر بنشاطه في ميادين الكون فقط . بل بتألقه في آفاق الأبد .

فصفات الافعال الآلهية : التي هي في مستوى الوجود ، تتعلق بحياة الانسان « الطبيعية » ووجوده « الطبيعي » : في عالم الكون والفساد . اما الشؤون الآلهية ، التي هي في مستوى كمال الوجود : فتتعلق بحياة الانسان « الفائقة » ووجوده « الفائق » : في ظلال الخلود .

○

ويلاحظ شيخ الاسلام ابن تيمية ان غرض الاديان جميعاً في تعاليمها وآدابها هو تقرير توحيد الربوبية والكشف عن حقائقه ومعانيه وجعله اصلاً لسلوك الفرد ونظرته في الكون والحياة . ذلك لان توحيد الالوهية في متناول العقل البشري ، اذ هو يستطيع من تلقاء نفسه ان يستقل بادراك الوجود الالهي عبر الاشياء والكائنات . ولكن مشكلة الانسان في كل زمان ومكان هي ان يعي تماماً بشمول « وحدة الفعل » الالهي لكل شيء ، وسيطرته على كل شيء ، وسريانه في كل شيء . فهذا الوعي الكامل تنوء به العصبة اولو القوة من ملكات الانسان او مدركاته . من اجل هذا ، تعددت الاسباب الفاعلة والخالقة في نظر الفكر الانساني ، وبالتالي تعددت الأرباب المعبودة طوعاً او كرها ...

فكما ان ذات الحق تعالى ! — في دائرة توحيد الالوهية : هي الوحيدة في الوجود المطلق والكمال السرمد : — كذلك : في دائرة توحيد الربوبية ، هي الوحيدة في الخلق وكمال الخلق : في الايجاد وكمال الايجاد : في الفعل وكمال الفعل ...

و « لا اله إلا الله ! » هو شعار التوحيد الالوهي . و « لا خالق ولا هادي سواه ! » هو شعار التوحيد الربوبي . وهكذا تتوحّد الالوهية : في

الضمير البشري ؛ وجوداً وفعلاً : فتزول الوسائط بين الله والانسان وترتفع الحجب بين الخالق والمخلوق .

توحيد العبودية

والمظهر الثالث والأخير لمبدأ التوحيد ؛ هو ما يسميه ابن تيمية بـ « توحيد العبودية » . وهذا يتناول امرين : وحدة العبودية لله — تعالى ! — ووحدة العبادة ؛ من اجل وجهه الكريم .

فالحقيقة الأولى لهذا التوحيد ؛ اعني وحدة العبودية ، تقتضي من المرء ان يكون خضوعه لخالقه وحده . وذلك بأن يدرك من اعماق كيانه طبيعة الصلة الحقيقية التي تربطه بموجده الاعظم . فيكتشف الانسان تمتّعَ امه من الله ؛ لا من غيره . يستمد عناصر حياته ؛ وبه ؛ لا بغيره ، يشيّد أسس بقائه ؛ وعنه ؛ لا عن غيره ؛ يتلقّى فيض انواره ؛ وفيه ؛ لا في غيره ؛ يستقر كهف ولائه ؛ واليه ، لا الى غيره ، تشرأبّ اعناق رجائه .

وفي الحقيقة ؛ ان وحدة العبودية لله هي التي تيسّر للضمير البشري وسائل تحريره من سائر القيود والاغلال التي تحيط به وتسيطر عليه سيطرة تامة . لان العبودية لله وحده ليست إلا العبودية للحق المطلق والكمال المطلق. أليس الله ، في ذاته ومن ذاته ، حقيقة ومحبة وحياة ؟ ثم أليس هو المصدر السامي والينبوع الفياض لكل حقيقة ومحبة وحياة ؟

اما «وحدة العبادة» فهي المفهوم الثاني لتوحيد العبودية ومظهره الخارجي وثمرته العملية الدالة عليه . فانه اذا كانت عبودية المرء لله وحده (او يجب ان تكون كذلك) ؛ فهو — سبحانه وتعالى ! — الموضوع الاسمى (او يجب ان يكون كذلك) لكل ما يقدمه المرء من خيرات ومبرات وقربات .

وفي نظر الاسلام ؛ معنى « العبادة » يستغرق جميع النشاط الانساني ؛ فردياً كان او جماعياً ؛ في الميادين الدينية وفي الميادين الدنيوية على السواء بشرط ان يكون هذا النشاط الانساني مبنياً على اسس ثابتة من العلم والخبرة ؛ وان تتحقق به مصالح الفرد او الجماعة ؛ وان يكون القصد من ادائه مرضات الله وحده والتقرب الى ذاته المقدسة .

ولكن رأس العبادات كلها وتاجها المرصّع هما المحبة والمعرفة ، او بتعبير أدق : المحبة التي هي معرفة ؛ والمعرفة التي هي محبة ! فالمظهر الاول لرأس العبادات هو محبة الحق — تعالى ! — والحق وحده في « سفر » الطبيعة

والوجود . من خلال كل متطور او متغير او فان ... وفي « سفر » الوحي ذي النور الممدود : من خلال كل حرف او كلمة او جملة . والمظهر الثاني لرأس العبادات هو معرفة الحق — تعالى ! — والحق وحده : في « سفر » الطبيعة والوجود . عبر سبحات انوار وحدته السارية في كل متطور او متغير او فان ... وفي « سفر » الوحي ذي النور الممدود : عبر سبحات انوار وحدته السارية في كل حرف او كلمة او جملة .

التوحيد في حقول المعارف الصوفية

اذا كان التوحيد عند المعتزلة مشكلة فكرية واخلاقية ؛ وكان عند السلفية مشكلة دينية واجتماعية : — فهو . في نظر رجال التصوف . قبل كل شيء : مشكلة روحية تتعلق بتحرير الضمير الانساني من سائر القيود المادية او النفسية .

فالتوحيد على ضوء الاختبار الصوفي ، هو امتحان شاق عسير ، من خلال الدموع والأحزان والآلام : لفكرة « الوحدانية » . انه ادراك ذوقي لمفهوم هذه « الوحدانية » ووعي تام بها : داخلياً في اعماق الكيان ؛ وخارجياً في كل ما يحيط بالانسان . ان غرض الصوفي في حياته — وغرضه الوحيد — هو اكتشاف « طريق النجاة » والسير عليه دأباً . و « طريق النجاة » هو طريق الوحدة او الوحدانية : وحدة الخالق ووحدة المخلوق . — أليس عن الوحدة صدر كل شيء ؟ فالوحدة هي كل شيء ؛ او هي كل «الشيء» في شيء شيء[1] ...

---

١) المراجع التاريخية والعقائدية عن « التوحيد الصوفي » ، عديدة ؛ نختار منها :

ا) شروح كتاب « منازل السائرين » (للهروي الانصاري) لباب « الجمع والتوحيد (آخر ابواب « المنازل ») : شرح عبد المعطي بن محمد الدمي الاسكندري ؛ شرح عبد الرزاق القاشاني ؛ شرح ابن قيم الجوزية — .

ب) كتاب « التوحيد والتوكل » من كتب الاحياء للغزالي (٤/د ٢٤٠-٢٩٣) .

ج) « الاملاء في اشكالات الاحياء » للغزالي (دفع اشكالات واردة على مباحث التوحيد والتوكل في كتاب الاحياء) .

د) الفتوحات المكية : ٢/٢٨٨-٢٩٣ ؛ ٤٠٥-٤٢١ ؛ ٥٨٧-٥٨٢ ؛ ٣/٥٠٥ — ٥١١

هـ) « المقدمات من اوائل شرح الفصوص » لداود القيصري ، مخطوط ايا صوفيا ، ١٨٩٨ / ٨٣ب — ٨٦

« قـــال يوسف بن الحسين[1] : قام رجل بين يدي
« ذي النون المصري فقال : اخبرني عن التوحيد ما هو ؟ —
« فقال : هو ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا مزاج .
« وصنعه للاشياء بلا علاج ؛ وعلة كل شيء صنعه . ولا
« علة لصنعه . — وليس في السماوات العلي . ولا في الأراضين
« السفلى مدبر غير الله ... — ومهما تصور في وهمك شيء
« فالله — تعالى ! — بخلاف ذلك »[2] .

« وسئل الجنيد عن التوحيد الخاص . فقال : ان يكون
« العبد شبحاً بين الله — تبارك وتعالى ! — تجري عليه
« تصاريف تدبيره ؛ في تجاري أحكام قدرته . في لجج
« بحار توحيده : بالفناء عن نفسه ؛ وعن دعوة الخلق له .
« وعن استجابته لحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه :
« بذهاب حسه وحركته لقيام الحق له فيما اراد منه . —
« و (التوحيد الخاص ايضاً) هو ان يرجع آخر العبد الى
« اوله : فيكون كما كان قبل ان يكون »[3] .

و) « كتاب في علم التصوف » نفس المؤلف السابق، نفس المخطوط : ورقات ١٩٩—١١٢
ز) « المقدمات من اوائل شرح القصيدة التائية » (للفرغاني) ، المخطوط السابق ؛ ورقات : ١٢٢ — ١٢٦ . —

هذا : واهم المراجع لمسائل « التوحيد الصوفي » هو بلا شك كتاب « مجمع الاسرار ومنبع الانوار » لسيد حيدر آملي (من اواخر القرن الثامن الهجري) مخطوط مرعشي (طهران رقم ١٧٤٣ / ٢٤ب — ١٧٣ب (والكتاب قيد الطبع الآن بعناية المستشرق الكبير الاستاذ هنري كوربين وعثمان يحيى ؛ في المعهد الفرنسي للدراسات الايرانية ، بطهران) . — اما اهم الدراسات عن فكرة « التوحيد الصوفي » فراجع : *« Le Combat spirituel du shi'isme »* (*Eranos-Jahrbuch*, XXX). Zürich, Rhein-Verlag, 1962, pp. 69-125.

١) « يوسف بن الحسين : ابو يعقوب الرازي . شيخ الري والجبال في وقته . كان اوحد في طريقة في اسقاط الجاه وترك التصنع واستعمال الاخلاص ... » صحب ذا النون المصري وابا تراب النخشبي ؛ ورافق ابا سعيد الخراز في بعض اسفاره ...» (طبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمي ؛ نشر الاستاذ نورالدين شريبه ؛ مكتبة الخانجي ؛ مصر ١٩٥٣ ؛ ص ١٨٥ وما بعدها ؛ — والمراجع في التعليقات على النص) . — اما ترجمة ذي النون المصري فسنأتي في نفس « كتاب التجليات » .

٢) كتاب « جذوة الاصطلام وحقيقة الاجتلاء » المنسوب الى ابن عربي ؛ مخطوط : Yale, Bible Univ. Landberg II, 64/25 a.

٣) المصدر المتقدم ، ورقة : ٢٥ب : وانظر ايضاً بخصوص هذا النص : *« Lexique technique de la mystique musulmane »* par L. Massignon (Paris 1954) pp. 305-307; — *« Le Soufisme »* par A. J. Arberry, pp. 64-68 (trad. française, *Cahiers du Sud*, Paris, 1952)

« وقال رجل للشبلي : اخبرني عن توحيد مجرّد بلسان حق
« مفرّد . — فقال : ويحك ! من اجاب عن التوحيد بالعبارة
فهو ملحد . ومن اشار اليه فهو ثنوي . ومن أومأ اليه فهو
« عابد وثن . ومن نطق فيه فهو جاهل . ومن سكت عنه
« فهو غافل . ومن اوهم انه (اليه) واصل فليس له حاصل .
« ومن أومى انه قريب فهو (منه) بعيد . ومن تواجد
« (فيه) فهو فاقد . — وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه
« بعقولكم : في أتم معانيكم : — فهو مصروف . مردود
« اليكم . محدث . مصنوع مثلكم ! »[1] .

ه

وهذه نغمة جديدة في « باب التوحيد » ما سمعناها من قبل . لا عند المعتزلة المتقدمين ، ولا عند رجال السلفية المتأخرين[2] .

فالنص السابق المنسوب الى ذي النون المصري . يبدي بوضوح تام مدى سريان الالفاظ « الكيميائية » في البيئة الصوفية ، ومدى تفتّح رجال التصوف لها وتآلفهم معها واستيعابهم إياها ... ان كل جملة في جواب ذي النون المصري : بل كل كلمة فيه . تنطق بالدلالة على هذه الظاهرة الفذة : « القدرة في الأشياء » : — « مزاج » : — « الصنع للاشياء » : — « علاج » : — « علة كل شيء » : — « المُدَبِّر » : — فهذه جميعاً مفردات « كيمائية » مشهورة في بيئتها : معروفة لدى اهلها .

وجواب الشبلي حين سئل عن « توحيد مجرّد بلسان حق مفرّد » — يشير الى التمييز الدقيق بين الوحدة الآلهية من حيث هي هي (ولسان هذه الوحدة الخاصة : اي المعبّر عنها والشاهد عليها ، هو « التوحيد الذاتي ») : — والوحدة الآلهية من حيث هي في شؤونها وافعالها : اي من حيث تجلياتها في الكائنات المحسّة وغير المحسّة (ولسان هذه الوحدة هو « توحيد الافعال ») .

---

١) « كتاب جذوة الاصطلام وحقيقة الاجتلاء » المنسوب الى ابن عربي ، مخطوط : Yale, Bible. Univ. Landberg II 64/25a-25b.
اما ترجمة « الشبلي » فستأتي في حينها في « كتاب التجليات » . —

٢) لفهم هذا الجانب من « التوحيد » في التفكير الاسلامي : من حيث مقدماته ومبرراته و « الوسط » الروحي والعقلي الذي نشأ فيه ونما وتطور ، — يراجع :
« *Histoire de la philosophie islamique* » (I) par H. Corbin (Paris, 1964) pp. 41-151; 179-215.

فالتوحيد الذاتي (وهو لسان الوحدة الآلهية من حيث هي هي) : لا قدم للعقل البشري فيه مطلقاً : اذ هو توحيد قائم بالأزل : « اختصه الحق لنفسه ولا يسمحه لغيره » . فكل « من اجاب (عنه) بالعبارة فهو ملحد ؛ و (كل) من اشار اليه فهو ثنوي ؛ و (كل) من أومأ اليه فهو عابد وثن ... »

أما توحيد الافعال (وهو لسان الوحدة الآلهية في تجلياتها الخارجية) . فهو الذي يصح صدوره من العبد ، وهو ميدانه الذي يصول فيه ويجول ... ومع ذلك ، فهذا الضرب من التوحيد هو الذي يقول فيه ذو النون المصري : « مهما تصور في وهمك شيء فالله — تعالى ! — بخلاف ذلك » : — وهو الذي يشير اليه الشبلي : « وكل ما ميزتموه بأوهامكم وادركتموه بعقولكم .. فهو مصروف : مردود اليكم ... » .

فالسؤال أو الأشكال الذي يعتلج الآن في الصدر هو ما يلي : لماذا كان هذا اللون من التوحيد « معلولا ، محدثاً ، مصنوعاً » ؟ وبالتالي : لماذا كان هذا التوحيد مصروفاً عن « باب الحقيقة » ، مردوداً على « وجه الخليقة » ؟

للاجابة عن هذا الاشكال نقول : أولاً ، ان قوى الانسان الحسية وملكاته المعنوية قاصرة في طاقاتها ، محدودة في اكتساب تجاربها ومعارفها ؛ فليس باستطاعتها الادراك التام لـ « وحدة الفعل الآلهي » ، في شموله واطلاقه ولا نهائيته : فالتوحيد الصادر عن الانسان هو ولا شك متسم بهذه الصفة البارزة ، اي قاصر لقصور قواه الحسية ، محدود لحدود ملكاته المعنوية .

ثانياً ، ان الظواهر الكونية — وهي الحقل الخصيب التي يجري عليها المرء تجاربه العملية ويستمد منها معارفه النظرية — لا يتوفر فيها من ذاتها وجود العناصر التامة للدلالة على وحدة الفعل الالهي ، وبالتالي على تصحيح حقيقة التوحيد : فهي — اعني الظواهر الكونية — حادثة متغيرة والفعل الالهي قديم ازلي ؛ انها متعددة متنوعة وهو واحد ، بسيط ... الخ. فالهوة عميقة بين الظواهر الكونية من حيث هي هي ، وبين وحدة الفعل الآلهي من حيث هو هو : فكيف يقام « هيكل التوحيد » على مثل هذه الاوضاع ؟ ام كيف يبنى بمثل هذه المواد ؟

٥

واخيراً ، جواب الجنيد عن « التوحيد الخاص » مرتبط بنظريته بـ « الفناء » ، الذي كان على ما يظهر اول من صاغها في صورة منهجية عقلية . غير ان

الفناء ، في نظر شيخ الطائفة ، لا يتم معناه الروحي الا بحقيقة ايجابية تقابل سلبية « الفناء » الذاتية . و « الفناء » فراغ يخالف منطق الحياة النفسية والوجود الصوفي . هذه الحقيقة الايجابية هي « قيام الحق فيما اراده منه » : في تضحيته ونسكه وجهاده . .

في نص شهير : يعرض الجنيد امامنا نظريته الكاملة عن التوحيد ومراتبه : والفناء ومظاهره : والبقاء وشواهده .

« اعلم ان اول عبادة الله — عز وجل ! — معرفته . واصل
« معرفته توحيده . ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف
« والحيث والأين . — فبه استدل عليه . وكان سبب استدلاله
« به عليه توفيقه . فبتوفيقه وقع التوحيد له . ومن توحيده
« وقع التصديق به . ومن التصديق به وقع التحقيق عليه .
« ومن التحقيق جرت المعرفة به . ومن المعرفة بـــه وقعت
« الاستجابة له فيما دعا اليه . ومن الاستجابة له وقع الترقي
« اليه . ومن الترقي اليه وقع الاتصال به . ومن الاتصال به
« وقع البيان له . ومن البيان له وقع عليه الحيرة . ومن الحيرة
« ذهب عن البيان . ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن
« الوصف له . وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود
« له . ومن حقيقة الوجود وقع حقيقة الشهود بذهابه عن
« وجوده . وبفقد وجوده صفا وجوده . وبصفائه غيب عن
« صفاته . ومن غيبته حضر كلّيته . وعن حضور كلّيته
« فقد كلّيته : فكان موجوداً مفقوداً ، ومفقوداً موجوداً :
« فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان .... »[1]

التوحيد الاوادي

مرت فكرة التوحيد في حقول المعارف الصوفية بأدوار ثلاثة ، وكانت في كل دور على صلات وثيقة بروح العصر الذي ظهرت في اجوائـــه : وبشخصية التصوف ذاته الذي بدأ رجاله يشعرون بوجودهم ورسالتهم في ضمير العالم الاسلامي .

---

١) مخطوط شهيد علي باشا (اسطنبول) رقم ١٣٧٤ /٦٢-٦٣ب . —

فهناك اولا ما يمكن تسميته بـ « التوحيد الارادي » . وهذا اختبار «الوحدة الالهية » وتذوقها ، في مستوى الارادة وعلى صعيد السلوك والحياة العملية . — وفي هذا الموطن ، تذوب ارادة العبد في ارادة الرب : فلا يريد الا ما يريده الله ؛ ولا يحب إلا ما يحبه الحق . وفي هذا « الفناء الارادي » ؛ بل في هذا « التسامي الارادي » يتحقق الاسلام في اكمل صوره العملية ؛ وفي اسمى معانيه الايجابية .

و « الاسوة الحسنة » لصاحب « التوحيد الارادي » هو ابراهيم — عليه السلام ! — في موقفه حين اكتشاف الحقيقة الكبرى : ﴿... يا قوم ! اني بريء مما تشركون : اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين﴾[1] . وأسوته الحسنة ايضاً وبصورة خاصة . هو المسيح — عليه السلام ! — عند قوله ، في لحظات حياته الاخيرة : ﴿أبتاه ، أبعد عني ان شئت هذه الكأس ؛ ولكن لتكن ارادتك انت لا ارادتي انا﴾[2] .

مما لا ريب فيه ان اساس الحياة الروحية ، في جميع المذاهب والاديان ، قائم على مبدأ « تجريد الارادة » ، اعني على تصحيحها وتركيزها ، وذلك يكون بجمع اشتات الهمة وحصرها كلها في موضوع واحد . وهذا « التجريد الارادي » هو السمة المميزة والطابع الصحيح لكل اختبار روحي اصيل وكل تجربة تحريرية سليمة . فانه عن طريق « تجريد الارادة » وبوساطتها ، تتحقق « الوحدة الشخصية » في تكاملها وازدهارها . بيد ان عبقرية التصوف الاسلامي في هذا الصدد ، هو ربطه وحدة الشخصية عن طريق الارادة ، بوحدة العقيدة عن طريق الايمان : فوحدة الالوهية في ميدان العقائد ، هو عماد وحدة الشخصية في ميدان الارادة والسلوك .

التوحيد الشهودي

ثم هناك ايضاً ما عرف باسم « التوحيد الشهودي » . وهو شعور تام واحساس عميق بالوحدة المطلقة ، في ذري التأمل والمشاهدة . وهذا يعني اتحاد العبد ، بالكلية ، مع الله : في العيان (لا في الأعيان...) بعد فنائه عن الكون والاكوان . .

---

١) سورة الأنعام (٦) آية رقم ٧٨ : ٧٩ . —

٢) انجيل لوقا (٢٢ / ٤٢) . —

والفرق الاساسي بين التوحيد الشهودي والتوحيد الارادي . هو ان الحقيقة الالهية لا تظهر في هذا الموطن بصورة « أمر ونهي » : اي بصورة « شريعة » يخضع لها العبد طوعاً وتتلاشى ارادته فيها : — بل بصورة «ذات مشخّصة » : يهيم صاحب التوحيد الشهودي في جمالها ويتعشق كمالها ويفنى بوجودها . فوقفه تجاه « الحقيقة الالهية المشخّصة » هو كموقف قيس بن الملوّح تجاه ليلى العامرية — ﴿ ولله المثل الاعلى في السموات والارض ﴾ — ! اذا نطق لا ينطق إلا بحبها . واذا أبصر لا يبصر إلا جمالها . واذا سمع لا يسمع إلا حديثها . واذا تأمل لا يتأمل الا سبحات انوارها . انه ابداً فيها وبها وله ومعها ومنها واليها ...

وفي الحقيقة . ان فناء ارادة العبد في ارادة الرب في التوحيد الارادي . هو تسامي الارادة البشرية الى سماء الارادة الالهية . وفناء وجود العبد في وجود الرب في التوحيد الشهودي : هو تسامي الوجود البشري المقيد الى قمة الوجود الالهي المطلق : بدون ان تحدث هذه الظاهرة المعجزة أيّ تغيير في طبيعة الذات الالهية او في كمالها اللانهائي . ولكن التغيير كلّه هو ما يحصل للعبد في هذا المقام : انه الآن انسان ربّاني ، وقد كان انساناً فقط .

٥

اذا سئلت : ما هو الموضوع الاسمى للتوحيد الارادي : الذي تفنى فيه ارادة العبد : بل تتسامى الى ارادة الرب ؟ — اجبت : هو وحي السماء . وهدى الانبياء : وسيرة الأولياء . الأوصياء : الامناء .

واذا سئلت : ما هو المجلي الاكمل للتوحيد الشهودي ، الذي يفنى فيه وجود العبد : بل يتسامى الى وجود الرب ؟ — اجبت : هو « الحقيقة المحمدية الازلية » . في ظهورها المطرد : عبر الزمان والمكان ، في اشخاص الانبياء والأولياء : الأوصياء : الامناء .

واذا سئلت : ما هي وسائل التوحيد الارادي ؟ — أجبت : الايمان والايقان والاحسان .

— والتوحيد الشهودي ؟

— الحب والهيمان . النابعان من اعماق الجنان : الصادران عن فَرْط العيان .

واذا سئلت : ما حقيقة كل من التوحيدين ؟ ما معناهما ومبناهما ؟ —

اجبت : هو « قيام الحق للعبد فيما اراده منه » : تضحية وفداءا : نسكاً وجهاداً . فحقيقة التوحيد الارادي هي شهادة الله لنفسه بنفسه ، في «مظاهر وحيه وشرعه » ، على لسان عبده وجنانه وسائر كيانه . — ومعنى التوحيد الشهودي ومبناه هو شهادة الله — تعالى ! — لنفسه بنفسه . في « مجالي ذاته المقدّسة » ، على لسان عبده وجنانه وسائر كيانه .

التوحيد الوجودي

وهناك ، اخيراً ، ضرب خاص من التوحيد ، ظهر عند المتأخرين من الصوفية (عند ابن عربي واتباعه) ، واشتهر في تاريخ الفكر الاسلامي باسم « التوحيد الوجودي » . ويقصد اصحاب هذا المذهب بمثل هذه التسمية معنى مبتكراً للوحدة ومفهوماً خاصاً بها ، من الوجهة العقلية المحضة .

والواقع ، اننا امام هذا « اللون من التوحيد » بعيدون جداً عن ميدان الاذواق الصوفية ، وعن طبيعة الاختبارات الروحية بمعناها الصحيح . بل نحن بالحقيقة ، تجاه نظرية معقدة في ماهية الوجود وأحكامه وشؤونه . ولكن اذا أمعنا الفكر في هذا المذهب ، نرى ان اهتمام رجاله به لم يكن نظرياً فقط ، بل دينياً وروحياً ايضاً . فغرض انصار « التوحيد الوجودي » من هذه «النظرية» هو اولاً : ابراز فكرة « الالوهية » ووضعها في نطاقها الخاص ، من حيث وحدتها المطلقة وكمالها اللانهائي ؛ — وثانياً : الدفاع عن هذه « الالوهية » ذاتها ، من حيث هي الموضوع الاسمى للايمان والمعرفة والعبادة والمحبة .

واذن ، فان مبدأ « وحدة الالوهية » في دائرة « الاثولوجيا » هو الذي دعا اصحاب هذا المذهب الى الاخذ بنظرية « وحدة الوجود » في دائرة « الانتولوجيا » . ومن هنا ، استطاع هؤلاء الصوفية المفكرون ان يميزوا بين نمطين من « التوحيد » : « التوحيد الالوهي » وهو القول بالوحدة الالهية ، و « التوحيد الوجودي » وهو القول بالوحدة الوجودية .

ويقرر دعاة وحدة الوجود ان « التوحيد الالوهي » لا يصح إلا على اساس « التوحيد الوجودي » ... اذ كل ثنائية او كثرة في مستوى الوجود هي في الحقيقة ثنائية او كثرة في مستوى اللاهوت . واذا كنا نسلم قطعاً بالوحدة الالهية في صعيد « الاثولوجيا » ، فيجب ان نسلم ايضاً بالوحدة الوجودية ، في صعيد « الانتولوجيا » : وذلك لسبب عينه .

ولكن ، ما معنى وحدة الوجود ؟ ما هو المقصود بهذا اللفظ على وجه التحديد ؟ وهل يلزم عنه اتحاد الخالق بالمخلوق في دائرة الوجود[١] ؟ يجيبنا اتباع هذه النظرية على هذه الاسئلة كلها بما يلي :

ان معنى « الوجود » ينبغي ان يلاحظ من جانبين ، وبالتالي ان يفهم

---

١) بعض المراجع عن وحدة الوجود : ١) « المقدمات من اوايل شرح فصوص الحكم » لداود القيصري ، مخطوط آيا صوفيا ١٨٩٨ /٢٧ب—٣٥ ب ؛ — ٢) « كتاب في عين الشوف » لنفس المؤلف ، نفس المخطوط ؛ ٥ — ٥٥ ب ؛ — ٣) « المقدمات من اوايل شرح القصيدة التائية » (للتلمساني) ، نفس المخطوط ١—٣ ، ٢٠—٢٣ ب ؛ — ٤) « انهاء الحكمة ... » للكوراني ، راغب باشا ١٤٦٤ /٢١ب—٢٦ ؛ — ٥) « ازالة الاشكال ... » عن المتحير في النور ... » لنفس المؤلف ، عاطف باشا ٥٠٨ د /١—٥ ؛ — ٦) « تنبيه العقول عن تمويه التصوية ... » ؛ نفس المؤلف ، راغب باشا ١٤٦٤ ١٧٥—١٨٤ ؛ — ٧) « التوصيل ... » نفس المؤلف ، نفس المخطوط : ١٣٣—١٣٤ب ؛ — ٨) « جلاء الانظار ... » ؛ نفس المؤلف نفس المخطوط : ١٦٣ — ١٧٢ب ؛ — ٩) « جلاء الفهوم ... » ؛ نفس المؤلف ؛ نفس المخطوط : ١٣٥ — ١٦١ب ؛ — ١٠) « اساس الوحدانية وبنى الفردانية » لداود القيصري ؛ مخطوط ولي الدين ١٨١٤ /١٤٤—١٤٨ب ؛ — ١١) « اطلاق القيود ... » للنابلسي ؛ ولي الدين ٢١٣٨ /١٣٧ — ١٠٠ب ؛ — ١٢) « اهل الوحدة » لعبد العزيز النسفي ؛ مخطوط شهيد علي باشا ١٣٨٠ /١٢٠ ... ؛ — ١٣) « رسالة في بيان انبساط الوجود المطلق على مظاهر الكائنات » لسعد الدين حمويه ، مخطوط سليم آغا ٤٩١ /١—٣ (بالفارسية) ؛ — ١٤) « رسالة في وحدة الوجود » للشريف الحسني ؛ مخطوط شهيد علي باشا ١١٩٨ .—

اما الكتب او الابحاث في الرد على وحدة الوجود : ١) « الحجج النقلية والعقلية لما ينافي الاسلام من بدع الجهمية والصوفية » لابن تيمية (مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، مطبعة المنار ١٣٤٩ هـ؛ النادرة) ؛ — ٢) « حقيقة مذهب الاتحاديين او وحدة الوجود » نفس المؤلف والناشر ؛ — ٣) « اقوم ما قيل في المشيئة والحكمة ... وبطلان الجبر والتعطيل » ؛ نفس المؤلف والناشر ؛ — ٤) « الرد على المنطقيين » نفس المؤلف ؛ الناشر عبد الصمد شرف الدين الكتبي ، بمباي ١٩٤٩ (ابحاث : حقيقة توحيد الفلاسفة ؛ ص ٢١٤—٢٤٦ ؛ ٣٠٧—٣١٥ ؛ الفناء المفسرم والفناء المحمود ؛ ص ٥١٦—٥٣٦) ؛ — ٥) « كتاب معيار المريدين » لابي محمد عبدالله بن محمد بن ايمن ؛ المعروف بقطب الدين ، مخطوط ولي الدين ١٨٢٤ /١٤٦ ... ؛ — ٦) « رسالة في منع اطلاق المطلق على وجود الحق » لعبدالله بن محمد بن عبد الرحمن ابن موسى الخلوتي ، مخطوط ولي الدين ١٩٨٥ ؛ — ٧) « رسالة في رد الوحدة » لعلي القاري ؛ مخطوط ولي الدين ١٨٠٩ /١—١٣٩ ؛ — ٨) « رسالة وحدة الوجود » لسعد الدين التفتازاني ، بايزيد ٣٨٩٠ (ط. ١٢٩٤ هـ) ؛ — ٩) « كتاب قواطع الادلة في الرد على الوجودية » لعلي القاري ؛ مخطوط جامعة اسطنبول ٨٣٤٦٢ /٢٨ب—٩٧ب ؛ — ١٠) « توضيح سبل الاحسان المحمود وتقضيح

على نحوين . فيجب اولا ان نلاحظ الوجود من حيث مظاهره وآثاره الخارجية ؛ وثانياً من حيث هو هو . أعني من حيث حقيقته ومفهومه الذاتيان .

فالوجود على الاعتبار الأول : هو بمعنى « الايجاد » . اي هو الفعل الوجودي الخلاق الذي تتحقق به الموجودات جميعاً في صورها الشخصية والنوعية . ابتداءً من المادة الصمّاء حتى الروح الأعظم . فكل ما في العوالم من كائنات منظورة وغير منظورة هي مظهر لهذا الوجود الواحد (= الايجاد الواحد) . وأثر من آثاره .

وهذا الوجود الواحد . الذي هو بمعنى الايجاد الواحد . ينتظم الاشياء الموجودة كلها ويحيط بها من سائر اقطارها : انه كل شيء فيها : ظاهراً وباطناً . كلاً وجزء : حقيقة وعيناً . اذ لا شيء في دائرة الموجودات يشذ عن اثر فعل الايجاد .

وهذا الوجود الواحد : الذي هو بمعنى الايجاد الواحد ، يتميز تماماً : من حيث طبيعته وماهيته ، عن سائر الاشياء الموجودة من حيث طبيعتها وماهيتها : انه واحد وهي متعددة ؛ قديم وهي حادثة ؛ باقٍ وهي فانية ؛ خالق وهي مخلوقة ؛ مطلق وهي مقيدة ... الخ .

٥

اما الوجود على الاعتبار الثاني ، أعني الوجود من حيث حقيقته الذاتية ومفهومه الخاص ، فهو بمعنى « المطلق الذي لا بشرط شيء » . فعلى هذا الاعتبار .: ليس هو الوجود الذهني ولا الخارجي ، ولا المطلق المقيد بالاطلاق... « وليس هو بكلّي ولا جزئي ؛ ولا عام ولا خاص ؛ ولا واحد بالوحدة الزائدة على ذاته » : اذ كل هذه الالوان من الوجود هي مظهر من مظاهر « الوجود المطلق الذي لا بشرط شيء » ، وأثر من آثاره .

الأقاويل بوحدة الوجود » لعبد الرحمن بن علي المرسوي ؛ مخطوط دار الكتب المصرية ؛ رقم ٣٩٩ تصوف / ١-٦٩ ... الى غير ذلك . اما الدراسات الغربية عن هذه القضية الهامة فتراجع في المقدمة الفرنسية لكتاب « المشاعر » لصدر الدين الشيرازي : بقلم الاستاذ المستشرق الكبير هنري كوربين ، وكذلك في المقدمة الفرنسية لكتاب « الجمع بين الحكمتين » لناصر خسرو بقلم الاستاذ المستشرق السالف الذكر . — (الكتابان المتقدمان هما من منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الايرانية في طهران) . —

والواقع : انه يمكن تصور ثلاثة أنماط من الوجود :

١) النمط الاول وجود بشرط شيء : وهذا هو الوجود الجزئي المقيد بحدود الزمان والمكان والمادة ؛

٢) النمط الثاني وجود بشرط لا شيء : وهذا هو الوجود الكلّي الذي هو مطلق بالنسبة الى الوجود الجزئي (فوصف الاطلاق فيه مقيد لا مطلق) ؛

٣) النمط الثالث وجود لا بشرط شيء : وهذا هو الوجود المطلق الذي هو غير مقيد بالاطلاق كالكلّي ، ومطلق عن التقييد كالجزئي .

فالنمط الأول من الوجود يصح ان يُعارض (او يزاحم او يتابع) النمط الثاني من الوجود ؛ وكذلك العكس . اما النمط الثالث من الوجود . فترتفع في دائرته كل مزاحمة او ممانعة او معارضة ؛ وبالتالي ترتفع في دائرته الكثرة . وهذه — اعني الكثرة — ميدانها « الثبوت » : اي ما هو ثابت بالوجود المطلق أو عنه . فالكثرة الثبوتية (= كثرة الموجودات) هي مظاهر الوحدة الوجودية (= وحدة الوجود المطلق) . والوحدة الوجودية هي الظاهرة في الكثرة الثبوتية .

وبديهي ان النمط الثالث من الوجود هو الذي يصح حمله فقط على الحق — تعالى ! — . وبالتالي : كان وجوده — سبحانه ! — واحداً ووحيداً .

○

فوحدة الوجود ، على هذا المعنى ، هي « وحدة الوجود المطلق » : الذي هو وحدة ووجود مطلقان ، اعني ان « المطلق » هو واحد لا بوحدة زائدة على ذاته ، وهو موجود لا بوجود زائد على ذاته ايضاً . — ويمتنع في دائرة المطلق تصور اية ثنائية او كثرة . فالقول بتعدد الوجود او كثرته . في دائرة المطلق : هو كالقول بتعدد الآلهة او كثرته في دائرة اللاهوت . فكلاهما شرك مذموم يجب التنزه عنه اصلاً . بل الشرك في مستوى الوجود المطلق : أدقّ وأخطر من الشرك في مستوى اللاهوت المقدس : لان الأول شرك عقليّ خفيّ ؛ والثاني شرك دينيّ .

○

يستطيع المفكر الاسلامي ، على ضوء نظرية وحدة الوجود : ان يجد حلولاً منطقية لعداد من المشاكل اللاهوتية التي تعرض لها علم الكلام (او

تعثّر أمامها ...) في مراحل تطوره التاريخي . فلو ان المعتزلة مثلاً ادركوا ان الوجود الالهي في حقيقته هو وجود لا بشرط شيء : — لما استحال لديهم القول بتعدّد الصفات او ازلية القرآن أو إمكان الرؤية الاخية .

أليس وجود الحق — تعالى ! — مطلقاً : حتى عن قيد الاطلاق ؟ فكيف يمتنع عليه تجليه الذاتي : من خلال صفاته وكمالاته اللانهائية ؟او تجليه الخارجي ، من خلال الحروف والكلمات البشرية ؟ او ظهوره المعجز : عبر الصور الخالدة . في نعيم السماء ؟

الاصول الخطية

الاصول الخطية التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الآثار الصوفية : هي ما يلي :

اولا ، بخصوص كتاب « التجليات الالهية » للشيخ الأكبر : فقد رجعنا الى المخطوطات الآتية :

١) مخطوط خزانة ولي الدين ، احدى الخزائن الحافلة في اسطنبول . ورقمه : ١٧٥٩ . وهو محفوظ ضمن مجموعة هامة كلها من آثار الشيخ الأكبر ، وهي على ما يبدو بخط يده . ويبدأ كتاب التجليات : في هذه المجموعة ، من ورقة ١٣٠ وينتهي فجأة بورقة ١٦١ . قبل تتمته . — ويحتوي هذا المخطوط على « سماعين » مسجلين على غلافه (ورقة : ١٣١) : ونص « السماع » الأول ، في اعلى الورقة ، هكذا :

« سمع جميع كتاب التجليات على مصنفها الشيخ الامام
« العالم المحقق محي الدين ابي عبدالله | محمد بن علي بن
« العربي الحاتمي الطائي الاندلسي جماعة منهم الشيخ الصالح
« حسين بن علي بن محمد | النينوفري والولد الصالح نور
« الدين ابو بكر بن محمد البلخي والولد الصالح قطب الدين
« محمد ولدالشيخ | العالم العارف شمس الدين اسماعيل
« يعرف بابن سودكين النوري وذلك بقراءة | العبد
« العبد الفقير الى الله ايوب بن بدر بن منصور المقري
« القاهري في الرابع عشر من محرم من سنة سبعة عشر
« وستماية بدمشق وذلك بمنزل المسمع . وكتب ايوب بن
« بدر » .

اما « السماع » الثاني (على اثر السماع الأول وبخط مخالف له) فنصه كما يلي :

« وكذلك سمع هذا الكتاب المسمى اعلاه على منشئه سيدنا
« وامامنا الامام العالم الراسخ ابي عبدالله محمد بن علي بن
« العربي | الطائي الحاتمي الاندلسي رضي الله عنه خادمه
« وربيبه محمد بن اسحق بن محمد سنة سبع وعشرين وستماية
« بدمشق » .

وابعاد هذا المخطوط : ٢٥ سم × ٢٠ سم : مسطرته : ١٧ سطراً . باحرف عريضة . منسعة . بقلم مغربي . بحبر اسود . على ورق صقيل . متآكل . في حالة سيئة . — اما قلم « السماعين » فنسخي : بحبر اسود ؛ بأحرف دقيقة : مقروءة بعسر . — ورمز هذا المخطوط : W . وهو الاصل الأم في تحقيق رواية كتاب التجليات .

٢) مخطوط ولي الدين الثاني ؛ ورقه : ١٦٨٦ . وهو ضمن مجموعة ايضاً . ويبدأ من ورقة : ٣٨ب وينتهي بورقة : ٥٢ب . وهو نسخة تامة للكتاب ؛ قرئ على الشيخ صدر الدين القونوي بمدينة قونية عام ٦٦٧ . — وهو بخط نسخي واضح ؛ بحبر اسود ؛ على ورق صقيل ؛ على هامشه تعليقات كثيرة بخط فارسي دقيق . — وابعاد هذا المخطوط : ٢٢ سم × ١٨ سم . مسطرته ٢١ سطراً ؛ — وهو في حالة حسنة . مغلف ضمن مجموعة كاملة . — وكان هذا المخطوط الاصل الثاني في الاعتبار في تحقيق رواية نص « التجليات » . — ورمزه : Y .

٣) مخطوط اسعد افندي (مكتبة السليمانية ، اسطنبول) ؛ رقمه : ١/٣٥٥٩—١٥ . نسخة كاملة ؛ ضمن مجموعة ؛ بخط نستعليق ، دقيق ؛ مقروء بعسر . ابعاد النسخة : ٢٥ سم × ٢٠ سم. مسطرتها : ٢١ سطراً ؛ نص المخطوط مقابل بالمنقول . ورمزه : E .

٤) مخطوط دار الكتب الوطنية في باريز ؛ رقم A ٦٦١٤ / ١٧٦— ١١٠٥ . — نسخة تامة ؛ ضمن مجموعة كاملة ؛ بخط نسخي ؛ مقروء ؛ في حالة جيدة . — ابعاد المخطوط : ٢٢ سم × ١٨ سم ؛ مسطرتها : ١٨ سطراً . ورمز هذا الأصل : P .

٥) مخطوط دار الكتب الوطنية في باريز ، رقم A ٦٦٤٠ /١٢٦— ١٥٦ . — نسخة تامة ، ضمن مجموعة كاملة ؛ بخط ديواني ، واضح ،

على اخامس تعليقات بقلم الناسخ الاصلي . — ابعاد النسخة : ٢٣ سم × ١٧ سم ؛ مسطرتها : ١٨ سطراً . — ورمزها : R .

٦) مخطوط مكتبة آصفية (حيدرباد) ، رقم : ٣٧٦ تصوف عربي ؛ بتاريخ ٩٩٧ . — وهي مطبوعة ضمن مجموعة : «رسائل ابن العربي» بعناية مطبعة جمعية «دائرة المعارف العثمانية» ؛ حيدر باد الدكن (الهند) ، سنة ١٣٦٧ هجرية (١٩٤٨ م) ، في جزئين . ويوجد كتاب التجليات في الجزء الأول من هذه المجموعة . رقم ٢٣ : وعدد صفحاته : ٥٣ . — وهذه المجموعة ما مقدمة بالانكليزية بقلم المستشرق المعروف الاستاذ A. J. Arberry . — ورمز هذا الأصل : H .

ثانياً . بخصوص كتاب «التعليقات على كتاب التجليات» للشيخ اسماعيل بن سودكين النوري ؛ فقد رجعنا الى الأصول التالية :

١) مخطوط خزانة الفاتح (اسطنبول) ؛ ورقمه ٥٣٢٢/١ — ١٣٧ . وعنوانه : «رسالة شرح تجليات شيخ الأكبر» . وهذا العنوان ثابت على غلاف النسخة وفي صدرها وغير مخالف للاصل . اما العنوان الذي في آخر النسخة وبخط الناسخ الأصلي فهو : «وهذا ما انتهى الينا من شرح التجليات» . — وهذا المخطوط موجود ضمن مجموعة كاملة معظمها من آثار الشيخ الأكبر ، وناسخها جميعاً ناسخ واحد ، وهو بخط نسخي دقيق مقروء بعسر ، مصحح على اخامس . بعناية الخطاط الاصلي . — وابعاد النسخة : ٢٨سم×٢٢سم ؛ مسطرتها : ٢٩ سطراً : بعض نسخ المجموعة بتاريخ : ٩٤٧ هجرية .. ورمز هذا الاصل : F . (وهذا الاصل هو عمدتنا في تحقيق رواية «التعليقات») .

٢) مخطوط مكتبة برلين الوطنية ، رقم ١٢٣٠ : (mass. or. oct. 1230, arab.) . — بعنوان : «شرح التجليات لابن سودكين النوري» . بخط نسخي ، واضح ، بقلم علي بن زكريا بن يحيى الآقسائي ، بتاريخ آخر جمادى الاولى سنة ٧٣٢ هجرية . — مسطرتها : ١٩ سطراً ، وهي في حالة جيدة ، مقابلة . — ورمز هذا الأصل : B .

٣) مخطوط مكتبة قينا الوطنية ، رقم : A ٣٨٩ ، بعنوان : «شرح التجليات الالهية للشيخ ابي الطاهر اسماعيل بن سودكين بن عبدالله النوري» — . بقلم : محمد بن محمد بن محمد الميداني ، الشهير بابن زاده . — بتاريخ يوم الخميس : ٩ من شهر ربيع الثاني سنة ١١٤١ هجرية . — بخط نسخي

واضح ؛ عليه تصحيحات على الهامش بقلم جديد ؛ — مسطرته ٢٥ سطراً. — ورمز هذا الاصل : V .

ثالثاً : بخصوص كتاب « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » ؛ فقد كان عمدتنا في تحقيق روايته المخطوط الوحيد المحفوظ في دار الكتب الوطنية بباريز . القسم الشرقي ورقمه : A ٤٨٠١ /١١—١٩٦ . وهو بخط نستعليق . جميل ومتقن جداً . إلا ان الناسخ يهمل دائماً التنقيط الكامل للنص . مما يجعل قراءته في حاجة مستمرة الى التركيز ... ومسطرته : ١٩ سطراً . — ورمزه . S

الكنيسة وعالم اليوم

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي
المستشار اللاهوتي لدى غبطة البطريرك الماروني
والخبير في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني

عاشت الكنيسة في فترات من تاريخها الطويل في انعزال وانزواء عن العالم وقيمه الارضيّة. فما كانت تُعيره وتُعيرها اهتماماً، مبشرةً بالروحيّات دون ان تقيم الارضيّات، خليقة الله. تهزأ بها وتزدري بالمادّة والجسد والحبّ ولا تهتمّ لتطوير تاريخ الانسانيّة إذ لم تكن ترى فيه سوى أوقات عابرة فيها تجربة الانسان وارتباطه بالخطيئة. تودّ دوماً أن تحمله إلى إهمال الأرض: إذ ليس له فيها مدينةٌ دائمة، وأن توجّه نظره الى المدينة العتيدة، تلك اورشليم السماوية. فلا بناء يدوم ولا مدنيّة تنمو ما لم تنحصر في الروحيّات، وما دونها فهو شكل وصورة نزول كهبّة ريح.

ولم تكن الكنيسة لتقف عند هذا الحدّ فتاقت مرّات إلى التسلّط على العالم والانتفاع منه، تشاطره الزعامة، أو بالحري ترفض أن تكون للعالم زعامة زمنيّة مطلقة، فقامت اذ ذاك تطلب لنفسها مهمّة استعمال السيفين، السيف الروحي لحكم الروحيّات والسيف الزمني لتدريب الزمنيّات، واعتبرت نفسها جزءاً لا يتجزّأ من القطاع الزمني، لا تسمح للانسان بالاستقلال الذاتي في توجيه حياته الزمنيّة ولا بالاسترسال في التنقيب والاكتشافات التي تتنافى وبعض المبادئ العلميّة التي سنّها بعض اللاهوتيين والفلاسفة والتي لا أثرَ لها في وحي الكتاب.

وما كانت نتيجة هذا كلّه سوى أن خذُل الإنسان وضعُفت معنويّاتُه وشعر بتشاؤم يربطه إلى الكسل وقد اضطُرّ للإقرار بعدم فعّالية أعماله الأرضيّة وبعدم استقرارها في خدمة يتوق اليها أترابُه.

وإذ جرّدت الكنيسةُ العالمَ من كل وضعيّة خلاقة ذهبت به من الانزواء إلى الازدراء بالخليقة فإلى الاستهتار بالتاريخ في حقلي الاقتصاد والاجتماع. فتمخّض العالم عن ثورة أصلُها احترام الإنسان وفعّاليته

الزمنيّة وغايتُها خدمة الإنسان ووسائلُها الانعتاق من الكنيسة وممّا تمثّله ليبنيَ هنا في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي مدينةً ارضيّة تكونُ له موطنَ العيش الأمين. فيصيرُ التاريخُ اذ ذاك تاريخاً كونياً وبشرياً لا الهَ يرتبط به ولا شرائعَ توجّهه سوى التقنيّة وما اليها من سنن لتطوير المادة وجعلها في خدمة الانسان الذي يختبر كلَّ يوم مسؤوليّته في سبيل أخيه الإنسان ولا يرى في الحريّة سوى العمل على الاضطلاع بتلك المسؤولية.

وبينما كانت الكنيسةُ تحصرُ اهتمامَها بأبنائها وتدافعُ عنهم لتحميَهم من مغبّة تلك الثورة تحمل اليهم ما أئتُمنت عليه من لدن الله شعرت بأنّ بينها وبين العالم هوّةً عميقة وبأن رسالتَها لا حدودَ لها وبأنّ عليها ان تتفهّم كلامَ الله على ضوء الواقع مع ما فيه من الطموح والآمال والمآسي.

هي المأساة: الكنيسة والعالم. أهما صنوان يتناظران ويكونُ السبقُ للواحد على الآخر. أليس الإنسانُ مَن تُريده الكنيسة ويُريده العالم ومَن في خدمته تضع الكنيسة ما اعطاها ايّاد الله من قوى ووسائلَ روحيّة ويضع العالم كل مقدّرات الارض والكون؟ هي المأساة في مكالمة الكنيسة والعالم. ولقد أنحنى المجمع المقدّس المسكوني الثاني الثاني وجرّب ان يتفهّم أسُسَها ويُعطيَ المأساة تلك: الحلَّ الوافي: إذ حلولُ العالم: وإن فسّدت جُرحاً تخزّ في قلب الانسان لانها تتناساه، وإن ارادت خدمتَه: وتغضُ النظر عمّا فيه من روح الله لا تسدُّ جوعَه المادّة: وإن ساعدته على الحياة: ولا تروي عطشه الاقتصاديات وإن دُعي حقّاً للاهتمام بها وللعمل فيها ولاستعمالها كي يكونَ للارض: خليقة الله، وجهُ الانسان.

١

فما هو عالمنا اليوم؟ ثلاثٌ تميّزه: فهو عالم الطموح والمتناقضات، عالم الحيرة واليأس وعالمُ التحدّي.

استفاق الإنسان من سُباته على حقيقة أشعلت إرادته حماساً؛ استفاق على حريّته وضرورة تحمّل أعباء المسؤولية وهو ليسَ بعدُ في عهد الطفولة بل قد تجاوزه فبايعَ نفسَه السيّطرة على الكون وعمل فيه وطمح الى توجيهه وتبديله وتوصّل إلى إعطائه وجهاً يدل على تغييرات عميقة على صعيد الإجتماع والثقافة والمدنيّة: ما باتت أن أثّرت على الإنسان

صانعها في حياته الدينيّة وفي احكامه وتفكيره وأعماله فيشعر وهو يمدّ يدّه للسيطرة على الكون بأنه لا يتملك على قواه وحريّته فتخونه هذه ويلتحق بها ؛ يشعر وهو يدخل بين طيّات كيانه دارساً ومتعمّقاً بأنّه لا يتوصّل إلى أسس أمينة تُنبّيه على حقيقته . يشعر وهو يوسع آفاقَ اكتشافاته الإجتماعيّة بأنه يضيع في اعطاء التوجيه الصّادق . وبينا تكثر بين يديه ثروات الأرض وتعمل الإقتصاديات على درء كل طارئ مؤسف يزداد الجوع وبتراكم البؤس والشقاء ؛ بينا تتأصّل في العقول روحُ الحريّة والاستقلال يُخيم على البشريّة استعبادٌ إجتماعي ووجلٌ نفسانيّ . بينا تتوق البشريّةُ تلك إلى الوَحدة والتكاتف في خدمة الإنسان . تتطاحن الشعوب في اختلافات لا تُحصى ، سياسيّة واجتماعية واقتصادية وفكريّة . تنبتُ من عنصريّة لا تهاب الحرب وانْ دمّرت ما حصّله التطّور بجُهدٍ وعناء ؛ بينا ترضى البشريّة تلك بأن تسلّمَ بعض مقدّراتها لمؤسّسة دوليّة تسهر على مصيرها ، لا نرى أنّ في ذلك روحاً كافية لتلافي الأحقاد ولاستتباب السلم .

هذا التّرجرج ناتجٌ عن حريّة إنسانيّة ففضّلت الانغلاق على نفسها والركونَ إلى قوتها في عالم جعلته ضيّقاً كما وهي قصيرةُ المدى لا أبعادَ لها في ما وراء المنظور والانسان يُكيّف على شكله كلّ ما يلمسُه .

ولكنّ هذا الطموح والمتناقضات تُدخل الانسانَ في عالم الحيرة واليأس .

لم يغيّر الانسانُ وجهَ الكون فحسب ولكنّه بدّل أيضاً طريقةَ التفكير ووجّه الثقافة توجيهاً مغايراً لما كانت عليه فيما سبق من الأزمنة وأعطى المجتمعَ أغوارًا جديدة .

تفوزُ التقنيّةُ اليوم بما فيها من عقليّة وضعيّة وحب المنطق في تسلسل البراهين والابتعاد عمّا في البشر من عاطفة تزهر ومن حدْس ؛ بينه وبينَ الحقيقة صلةٌ عميقة ؛ تفوز التقنية بالقيم الإنسانية ؛ حبّما كانت تُدعى ؛ فتُخرج الانسانَ من أجواء تفكير أساسُها الحياة وغايتُها معنى الحياة لترمي به في الفضاء . ولكنّ تلك التقنيّة لا تسمحُ للإنسان أن يتعرّف إلى نفسه فقط بل وأنْ يؤثر على غيره وأن يستدركَ تطويرَ المجتمع بتحديد النسل وان يكوّن مجتمعاً يكثر فيه الاتصال بين الشعوب مع تكاثر وسائل الأعلام فتشترك كلّها وبسرعة البرق في أداء الآراء وفي

توجيه الرأي العالمي دونَ أن يكونَ في هذه الإشتراكيّة ما يُحسِّن موقفَ الشخص البشري. فالإنسانُ لا يجدُ في هذا كلّه ما يجعلُه يتعاطى مع أخيه الإنسان ولا الشعوبُ الغربيّة مع الشعوب الشرقيّة معاطاةً تُسهم في زيادة القيم الشخصية وتوطيدها ونموها. فتذبلُ شخصيّةُ الفرد إزاء تضخّم الصناعة وتتعالى في عقله السؤالاتُ وعلاماتُ الإستفهام: مَن أنا ولِمَ وجودي على هذه الأرض. حيرةٌ ويأس. وبالتالي سؤالاتٌ عديدةٌ عن فضائلَ ورثها وتقاليدَ وصلتْ اليه عن الجدود لا يرضى بها فيثورُ عليها ويرى فيها سلاسلَ تقيّدهُ وتربطُه إلى الماضي: والحريّةُ تناديه إلى الأمام. تلك الحريّة أساسُ عظمة الإنسان وشقائه. فيقف حائرًا أمام عالم أراد أن يحرّر الإنسان فاستعبدَه: فمن توتّر في العيلة بين النسل والظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة، إلى توتّر بين الشعوب الفقيرة والشعوب الثريّة إلى توتر بين المؤسّسات الدوليّة والأنانيّة الوطنيّة. هذا ما يهمُّ العالمَ اليوم. فأين نحن من تصميمه الاوّل في تحرير الإنسان؟ والإنسان في كل هذا ضحيّة يطلب أينما كان، لا أن يعيشَ في عمله وبعمله فقط ولكن أن يتغرّف من مناهل الحياة ويشتركَ في بنائها: في مظاهرها الاقتصاديّة والإجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة. وفي هذا كله حيرة ويأس. يشعر الإنسان في عالم اتّسم بالقوّة والضعف معاً بعدم توازن خارجي — وهو يعلم أن مستقبلَ القوى التي فجّرها يتعلّق به فتطحنه او تخدمه — وخاصّة بعدم توازن داخلي يتأصّل في قلبه في مأساة التوق إلى علوّ وإلى الانفلات والارتباك بأمور دنيويّة عديدة، في مأساة الميل الى الشرّ يشترك فيه والميل الى الخير، يريدُه ولا يعمله، في مأساة العقل لا يتوصّل في ثروته الفكريّة إلى تنسيقها التنسيقَ الوفي وربطها بمبدأ يوحّدها ويُعطيها قيمة عمليّة لتوجيه الحياة. ويعودُ في حيرة ويأس ويتساءل مَن أنا ولِمَ وجودي على الارض؟ وما معنى الحياة في مظاهرها العديدة: الشرّ والموت ولم ينتصرْ عليهما العالم في تطويره العلمي؟ وما هنالك بعد الموت؟ سؤالاتٌ ليسَ بمقدوره أن يُبعدها وإن تجاهلها فتظل تلاحقُه كظلّه.

ولكنّ العالم لا يرضى بهذه السؤالات فيتحدّى مَن يعرضُها عليه. فعالمنا عالم التحدّي. إذ ما قيمة الايمان في عالم لا يحتاجُ اليه لا في عمله ولا في اكتشافاته العلميّة ولا في الاستدلال على طريق الحياة. والرّجاء الذي يغذّيه الإيمان بحياة أخرى ليسَ سوى تخدير العقل وتنويم الارادة

كي يبتعدَ الإنسان عن استعمال قواه واختبار المجاذفة بالحريّة ووضعها في خدمة أخيه الإنسان. فلا بدَّ إذًا أن يعودَ اليومَ الانسان إلى قرارة نفسه ويَعيَ مقدّراته ويَهتمَّ بالعمل لا رائدَ له إلاّ العودةُ المستمرّة إلى الحقيقة. والحقيقةُ هي هي لا تتبدّل. ما يساعد الإنسان على تكوين هذه الأرض وجعلها الفردوس الذي ما بعده فردوس وكلُّ ما تبقّى فهو غريب عن الانسان وغريبٌ عن دعوته الأساسيّة في التكاتف مع الغير لبناء يدوم. أعطوا الانسان هذا العالم فيزول التوق الى عالم آخر.

وما دورُ الايمان في الحياة الزوجيّة والعائليّة، يتخبّط بين طيّاتها إنسانُ اليوم ويشعر بالمضايقات التي تفرضها عليه المبادئ الايمانيّة: وهي غريبةٌ عن الحياة الحاضرة بما فيها من صُعوبات ومصائب. ولتلك العقيدة الايمانية تاريخُها وظروفها لا تنطبق على ما يكتشفهُ الإنسان من تحرُّر ومن تفتّح لا يسمحان له بالخنوع أمام ما لا يُقرّه الزمن الحاضر.

وما عدا ذلك، فما هو دورُ الإيمان في إلقاء النور على مجرى التاريخ: أعاصير وانقلابات وحروبٌ طاحنة ومصائبُ لا تُحصى ليسَ لها أيّةُ صلة بحياة أبدية. فما من سبب للتعثر بعقائدَ كان من سوء حظ العصور الغابرة أن أثّرت عليها وليس لها مع علم اليوم من مبرّر. والعلمُ ليعطي الإنسان فرحاً ورغدَ عيش يحولان دونَ التفكير بعالم آخر هو وهمٌ تقلّب في عقول الكثيرين ووصلَ الينا من خلال التاريخ إذ باستطاعة علم اليوم أن يهبَّ بالإنسان إلى تجاوز حدوده وإلى الإنتاج في فترة قصيرة من عمره اكثر من عصور هيمنَ عليها الإيمان وكان فيها الرادعَ الأقوى لحريّة لم يساعدْها على التفتّح في أبعاد العظمة والمجد بل أخمدَها وخنقها.

ولكنَّ العالم اليوم لا يتحدّى الإيمان إلاّ لأنه يتحدّى اللهَ بالذات ويعتبر أن مُشكلةَ الله مشكلةٌ تافهة ليس على الانسان أن يضيع وقته في التفتيش عن حلّ لها وهو الذي عليه أن يسهرَ ليملأ دقائق أوقاته من عمل بنّاء في خدمة الغير. فلا غاية للانسان إلاّه ولا معبود له الاّه واذا ما أرادَ أن يسيرَ على طريق التقدُّم والعلم عليه أن يهجرَ الله وان لا يفكّر الاّ بنفسه؛ فتفاهة الله بالنسبة للعلم وتفاهته بالنسبة للحياة لتخوّلان الإنسان أن يسير في الحياة نحو التطوّر الاقتصادي والاجتماعي يجد فيهما ما يعوّض عليه خسارة عصور عبرت. إذ ليس للإنسان ولا يعتريه من مشاكل الساعة من منفعة يستقيها من عقيدة تأتيه من بطون

التاريخ لم يجرؤ أحدٌ على انتقادها ورفضها الرفضَ المطلق ويؤسّسَ حياةَ البشرية بكاملها على انقاضها . فلن يؤثّرَ الله على الجيل العشرين ولن يرضى الإنسان عن حرّيته بديلاً وقد صار بالغاً يبني التاريخ ويخسر في الوقت عينه وعيه الديني ؛ فكان في ذلك خلاصُه . فلا يريد بعدئذ ان يقتسم اخيةَ معه الاّ الانسانُ اخوه ؛ يتعاطى معه معاطاة الإنتاج والإثمار لا معاطاةَ الحبّ والصداقة والإلفة اذ هي أمور لا ضرورةَ لها في تطوير المدنيّة وقد ورثها من عقيدة كانت تدّعي الوحي . فيصيرُ إذاك انسانُ اليوم محورَ التاريخ والانسانَ الشامل ويسير أيضاً في تفكيره فيُعطي نفسَه ما نتاه عن الله من صفات ويُصبح الانسانُ الشامل الإنسانَ الكامل .

=

إلى هنا وصل عالمُ اليوم في تطويره . ولكن من الحيف أن نُلصق به السلبيّة فقط وفيه ما يوجهه دائماً إلى السؤال الذي لا بدّ منه عن الله وعن الإنسان وكلاهما لا يفترقان في التفتيش عن الحقيقة . ولقد نجد عند بعض العلماء آراءً تعارض ما سبق وقدّمناه إذ يقول انشتاين : إنه لم يراقب في العلم ما يعترض الدين وإن هجرَ الله ليترك للعالم تفاهة ويأساً[1] . ويقول لويس ده برويل ايضاً : «إن أعمق تأثير يعترينا في حياتنا هو التأثير الصوفيّ الذي هو بدءُ العلم الحقيقي»[2] . ولذا فنظرة الى عالم اليوم كما عرضناه في ميزاته الثلاث تدلّنا على أن التحقيق حلّ محلّ الحقيقة وأن النجاح أعاض به العالم من العقيدة . ولذا فالتقنية هي الوسيلة الوحيدة ليُكيّفَ بها حياتَه وتاريخه . انما يختبر أنّ كلّ ذلك عابر يتبدّل بتبدّل الأيام والمناطق والأجواء ويُبقي الانسانَ أمام الألم الذي يدلّ على إفلاس العقل والعلم ؛ يُبقيه امام الموت الذي تتحطّم عليه غزارة الإنتاج الاقتصادي وتصير الطبيعة بالنسبة للإنسان في لامبالاة صامتة تطحنه بعتوّها وتفاهتها . فيشعر العالم إذاك بحنين إلى الله أقوى وأعمق من ايمان بعض المؤمنين السطحي إذ يودّ تطهيرَ فكرة الله وتنقيتها مما يشوبُها من خرافات ألصقوها بها عن وعي أو عن غير وعي . وعلى المؤمنين الحقيقيين ؛ على الكنيسة أن تُعطيَ العالمَ ما هو بحاجة اليه وأن تُجاوبَ على ما يسكتُ العالم أمامه حائراً .

---

(١) Ph. Frank, *Einstein, sa vie et son temps.*

(٢) L. de Broglie, *Continu et discontinu*, p. 98.

٢

ترى الكنيسة نفسها مسؤولة عن العالم وهي جزء منه. وضعها مؤسسها الإلهي في العالم: شعباً مختاراً، ووسمها بطابع تجسده لتكون بين الأمم عامود نور وحدياً لمن أراد. فلا يحق لها أن تفلت من هذه المسؤولية وقد بنيت على هذه الدعوة الأصلية: تمديد رسالة المسيح بين البشر. وإن كان التاريخ يضفي عليها ثوباً يبليه التاريخ التالي مما علق بها من امور عابرة ارضية: وان كانت الأيام تتوالى عليها مجددة فيها بالروح القدس ما شاخ من عادات وتقاليد ومراسيم خارجية: فهو التاريخ وهي الأيام التي تطلب الى الكنيسة أن تطبق الإنجيل الذي تعيته والذي هو شرعتها الوحيدة على مشاكل واقعية وعلى عالم عليها أن تخلصه وتعود به دوماً إلى خالقه. هو التاريخ وهي الأيام التي تضع الكنيسة، وهي من العالم وفي العالم وللعالم، أمام واجبات عليها ان تعيها؛ إذ فيها نقطة انطلاق جديدة لرسالتها العملية. فالكنيسة اذاً تتلقن من التاريخ دروساً وتعطيها الشروح الوافية؛ تتعلم من الايام والأحداث التي تحمل اليها، بارادة علوية؛ شيئاً من حياة الإنسان ومن توقه المتأصل في القلب؛ وإن شطاً فيظل يرنو الى الغذاء الحقيقي، فتقدم له من كنوز اتئمنت عليها؛ جدداً وعتقاً. هو التاريخ وهي الأيام يعطيان الكنيسة وجهاً يتعرف اليه العالم، وجهاً هو منه وغريب عنه في الوقت عينه؛ وجهاً عليه إمارات الزمن وإمارات الأبدية، وجهاً يود العالم لو غاب عنه ولكنه يشعر أن له فيه حياة.

تجاه هذا العالم الطبيعي غير المسيحي عادت الكنيسة إلى ينابيع رسالتها تتفجر في أعماق كيانها، وقد سترتها بعض الحالات الزمنية: إجتماعية واقتصادية وسياسية وشعرت اليوم بالرسالة تتدفق فيها نحو العالم المكلفة به من لدن الله، تزيد ان لا تغيب عنه فتكالمه حسب شعوره وصعوباته ومشاكله وطرق تفكيره دون أن تملي عليه آراءها. تسمعه فتجيب؛ تغبطه على تطويره وتعطيه معنى التطوير الحقيقي وتؤكد له أن الإنسان الذي يريد تحريره من عبودية المادة ومن خرافات علقت بذهنه فجعلته غريباً عن عقله وصدق توجيهه الفكري، أن ذلك الإنسان الذي يريد العالم تحريره من المرض والموت هو هو محور إهتمامها وأن البشرية الحرة التي يتمخض عنها العالم هي هي تلك البشرية التي

تُريدها الكنيسة ملكوتاً للمسيح. فمن الخارج الى الباطن ؛ ومن الخوف الذي كان يعتري الإنسان أمام الطبيعة وأهوالها إلى التمرُّس بقوة تفرضه حتى على الطبيعة والكون ليعودَ الى مشاكل حياته الأصيلة التي تهزّه ؛ تَسير الكنيسة بالإنسان في حياة تريدها شخصيّة تُعتق من عبوديّة الفساد وتصلُ إلى حريّة مجد ابناء الله (رومية ٨/٢١).

فبينا ينتظر العالم من الإنسان وحده تحريرَ أخيه الانسان والسيرَ به الى الخلاص ، تقف الكنيسة وتعتبر باختبارها التاريخ. أنّ ذلك مستحيلٌ وأنّ كمالَ الخلاص والتحرُّر عطيّةٌ من الله بالمخلّص الوحيد الذي بدونه يَبني الانسانُ سدّى برجَ بابل. ولقد أعطي للعالم هَدياً ونوراً وطريقاً يُحتذى به. يبدّل العالم من الباطن في تطوير روحي مستمرّ إلى أن يصل به إلى دُروة التجديد يوماً بتلك القيامة. وذلك الانتفاض من الموت إذ قهر الموتَ بالموت. فهو اذاً للعالم الألف والياء ، يحمل اليه بشارة محبّة الله وارادته في تقديسه ليعود العالم عن غيّه في سلام الدعوة الأولى التي دُعي اليها بالخلق ، ويُصبحَ قيثارة مجد الآب تُلحّنُ موجاتها ألسنةُ البشر. هو الألف والياء إذ لبس طبيعتنا الإنسانية وأخذها بكاملها ما عدا الخطيئة ؛ ولذلك فيتقبّل الانسانُ إذاك بالكلمة المتجسّد « باكورة الروح » (رومية ٨/٢٣) ويُجدّدُ في قلبه وارادته وعقله بانتظار « فداء جسده » (رومية ٨/٢٣) على حدّ قول بولس الرسول.

وإذ يشترك الانسانُ بسر موت وقيامة المسيح الإله بالعماد المقدّس يصير نسيباً كالمسيح نفسه خميرةً تُعطي الحيويةَ والقوّة للعالم ويسيرُ به إلى الأمام يخلّصه بقداسته ويوجّهه الى مجد القيامة برجاء لا يُخزى. في هذه الشركة فخرُ الإنسان وكرامتُه بها تتكوّن في الإنسان قوّة تقهرَ الموت اذ تُعطي الموتَ معنىً خلاصيّاً بموت المسيح ونهوضه ؛ بها تتكوّن في الإنسان قوّةٌ تحملُه إلى التردد بالروح وقد صار ابناً بالابن الوحيد : « أبّا أيّها الآب » (رومية ٨/١٥).

٥

بهذه الشركة بالذات تُصبح الكنيسةُ الخميرةَ في العالم يُجليها العالم وهي جزءٌ منه ولكنّها تُجليه وهي ضميره وروحه ؛ إذ ليست الكنيسة مجتمعاً كسائر المجتمعات ولكنّها شعبُ الله تُعطي أمور الدنيا أبعادَها الحقيقية. فالكنيسة وإن اهتمّت في عهودها الغابرة باعطاء الحياة البشريّة وأعمالها الصفة

الأخلاقية دون ان تهتمّ لقيمها الاقتصادية والكونيّة . وإن اهتمّت خاصّة بتنظيم تلك الحياة دون أن تأبهَ للأبعاد التقنيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، وإن اهتمّت بالنيّات الموجّهة للامور وبغاية تلك الأمور دونَ أن تنتبهَ للصّلة الدنيويّة العلميّة ، وبذلك تكون قد اهملت نقطةً هي بالنسبة لحياة انسان اليوم بمثابة نسمة يتنشّقها ليعيش : فانّها . إذ تُعطي العالم المبادئ الأساسيّة لحياته . تقول الكلمةَ الفصل على صلة تطوير العالم المادّي وصلة الخلق بملكوت الله .

فالانسان في نظر الكنيسة خُلقَ على صورة الله ومثاله . فليس هو المطلق وليس هو ما تتصوره اليوم الفلسفةُ الوجوديّة ، ذلك الكائن إلى الموت الذي تملأ حياتَه الحيرةُ واليأس فإنه يستمدُّ كرامته منَ الله خالقه ، إذ هو دعوةٌ منه ليُقيمَ معه مكالمةً فيها قوّتُه ونورُ حياته . فيؤهله الله للمعرفة وللمحبّة ويُقيمه سيداً على الكون يمجّد به الباري ويستعملُه لحياته بحريّة لا تستند فقط الى قوّة العقل والى صلابة الطبع ولكنْ الى الينبوع الذي تتأصّل فيه وهو روحانيّة الله مبدأ وغاية كل شيء . انما اساء الانسان استعمال تلك الحرية فرفض علاقته بخالقه وادّعى المطلق ، فأفسد صلة المحبّة التي كانت تربطه بأصله وبأخيه الانسان وفقد التوازن الداخلي وفضّل الحياةَ في توتّر لا يهدأ له من بعده عقلٌ ولا ضميرٌ ولا ارادة فصارت حرّيةُ الانسانِ تميل إلى كلّ صوب ولم تعد تعلم اين الطريق ، عاجزةً عن مجابهة الشرّ الذي يُسيطر عليها ويُقيّدُها باستعباد أليم .

إنما الانسان اذا ما تعرّف الى نفسه الروحيّة والدائمة بدوام خالقها رفض بتاتاً الخضوع لخليقة وهميّة كوّنتها الأقدار . والظروف بل عاد دوماً إلى أعماقه ليتحسّس الحقيقة في صحّتها ، وهي الحقيقةُ تلك التي توصلُه إلى الحقيقة المطلقة سيّدة العالم وموجّهته والمعطية الانسان حكمةَ التروّي والدراية في تثبيت المنظور على أسس غير المنظور . بهذه الحكمة يُضفي الانسان على اكتشافاته الصادرة عن عقله وثقابة طبعه وجهاً انسانياً صحيحاً ويقلع عنها وجهَ الاستبداد المقيت ، إذ لولا تلك الحكمة لصارَ الإنسانُ ألعوبةَ قوّة أعطاها الإنطلاقةَ الأولى ولمْ يعد باستطاعته أن يوجّهها ناسياً أنّه على صورة الله كُوِّن وأنّ فيه ما يرفض الخنوع دوماً . ولذا فإن الضميرَ في الانسان ليُنبّهه على الخير والشرّ ، فيأمرُ أبناء شعب الله وقد أنارهم الايمان بأنْ يُصغوا لأوامره فيكونون في العالم ممّن يُعطونه الحلولَ الوافية لمشاكله المتعدّدة ، وخاصّة الأخلاقيّة منها ويشعرون بأنّ

من واجبهم أن يتجاوزوا الظواهرَ الى معناها والانظمةَ الخارجيةَ إلى مدلولها الحقيقي . وإذا ما سكتت هذه الظواهر وهذه الأنظمة الخارجية أمامَ الموت وأقرَّت التقنيّة بضعفها لشرح ما يعتري الإنسان من كآبة وحسرة أمام التوق إلى البقاء وضرورة النهاية ؛ فإن الكنيسة تهبُّ : وقد أنارَها الروح بفهم الوحي ؛ وتُردِّدُ أنَّ الخالقَ لم يخلُقْ ليُبيد ولكنَّه خلق ليُجدِّدَ الإنسانَ بعد خطيئته ويُجدِّد به الكونَ بخلاص يعطيه اياه المسيح وبانتصار على الموت ناله المسيح بموته . ويسيرُ الإنسانُ هكذا . وقد وضع فيه البارئ شيئاً من أبديَّته . إلى معانقة الإله في حضرة لا تزول . انما على حريَّة الإنسان . وقد جرحتْها الخطيئة . مسؤولية تحريره، بقوَّة النعمة . ممَّا يعلق به من غُبار الطريق ومن أنانية وأثرة تمنعانه من التكاتف مع أخوته البشر إذ معهم كلِّهم ؛ عليه أن يُؤلِّفَ مجتمعاً تغيب عنه التفرقة ويسود فيه الخير الشامل.

فالتوتّر بين الشعوب والأفراد لا يتأصّل في الوضع السياسي والاقتصادي انما ينبع من داخل الانسان ومن نتائج الخطيئة التي تقسمه عن نفسه وعن الانسان أخيه بعد أن تكونَ أبعدتْه عن الله . وهو الله الذي يُريد الخير الشامل للبشريّة ؛ اعطاها كنيسةً تكون فيها لا كسائر المنظّمات ولكن لتساعدَ المنظّمات التي يكوّنها الانسان على احترام كرامة الشخص البشري الذي ؛ إن كانت عليه واجبات ؛ فله حقوق وإحقاق هذه الحقوق ليساند الحريّة البشريّة في تطويرها ؛ وهي الحريّة التي تقوم بدورها الاثيل في تغيير العقليّات والمجتمعات وفي استغلال المؤسسات ، اية كانت ؛ استغلالاً لخير البشريّة على هذه الارض ؛ الروحي والمادي في كل أحواله الاقتصادية والاجتماعية . وفي هذا كله احترامُ الإنسان لأخيه الانسان ؛ فلا قتل ولا حرب ولا تعذيب ولا استعباد ولا بغاء ولا ظروف عمل لا يعود بعدّها للحريّة من نموّ وازدهار . وعلاوةً على ذلك فالكنيسة تذهب إلى حمل الانسان على خدمة الأعداء ومحبّتهم وعلى طلب الغفران فإنَّ الحقيقة الخلاصيّة تبشّر بالمساواة وتثور على كل تفرقة عنصرية كانت أو دينية ولا تثرُ لأحد باستعباد آخر ؛ شعباً كان أو فرداً ؛ الاستعباد الاجتماعي او السياسي ؛ وهي اذ تطلب ايضاً وايضاً احترام الكرامة البشرية تدافع عن حقوق الإنسان الأساسية وتطلب العدالة الاجتماعية والتخلّص من ضغط الثروات الطائلة وتسنُّ الشرائع لا الفردية فحسب ولكن الشرائع الجماعيّة التي على الفرد كما وعلى الجماعات أن يحترموها في حياتهم إذا ما أرادوا السِّلم والسَّلام .

هذا كله تحمله الكنيسة الى البشرية وتستقيه من نتائج تجسّد الكلمة ليعلّم الإنسان التفتّح على أخيه الإنسان وليخلّصه من عبوديّة الخطيئة. ولهذا فيبدو الأنسان مسؤولاً عن تتميم ارادة الله في مجرى التاريخ حيث يعمل لا كمنافس لله ولكن كمتمّم، بالروح العلوية: لما اراده الله منذ البدء لخليقة أحبّها فخلقها. فتصير الاكتشافات والاختراعات رمزاً للعظمة الإلهية، إذ القيم الارضية والايمان لا يختلفان وكلاهما يتأصّلان في الإله الواحد والوحيد، إذ العلم والايمان لا يتنافران، إنما بينهما صلةٌ وثيقة: فبينا العلم يسير على طريق الحياة، يردد الايمان أن قيمة الانسان لتعلو كلّ تطوير تقني وأن العلم إنْ لم يخدم الشخصَ البشري ويساعدْه على التملّك المتزايد على نفسه بات ظلماً وحتميّة. اي ان أعمال الانسان ان لم تطهّرْ وتسر الى كمالها بصليب المسيح وقيامته ظلّت معاديةً لخير الإنسان الحقيقي. فالكلمة المتجسّد أراد البشرَ أحراراً: يزهدون بأنانيّتهم ويجمعون الثروى الأرضيّة كلّها في خدمة الحياة الإنسانية ويثبُونَ الى المستقبل، إلى ذلك الوقت حيث البشريّة تصير تقدمةً ترضي الله. وفي هذا التطوير تلعب الكنيسة الدور الأكبر، لتعمل، بصورة لا نُدركُها: على تحقيق الملكوت الذي أراده المسيح فتؤلّف: في حياة الجنس البشري: عائلة أبناء الله تنمو باستمرار. وإذ هي على هذه الحال فانها ترافق البشريّة وتتقاسم وإياها مصيرها الأرضي في هذا العالم: تعمل فيها كالخميرة وكالروح وقد دُعيت البشريّة بكاملها لتتجدّد بالمسيح وتصيرَ عائلة الله.

انما تحابك المدينتين الأرضيّة والسماويّة في هذا العالم، لا يُدركه إلاّ الايمان وسيظل السرّ في تاريخ البشرية إلى ان تصل يوماً إلى مجد أبناء الله بعد أن تكونَ الخطيئة قد هزّت دعائمها على هذه الأرض. فلن تكون رسالة الكنيسة سياسيّة ولا اقتصاديّة ولا اجتماعيّة. غايتها دينيّة. ومن هذه الغاية تتدفق الأنوار وتتفجر القوى التي تدعم جماعة البشر في الاذعان للشريعة الالهية، فيها يجد الانسان انسانيّته ومنها يسمع الجواب لكل ما يعتريه من مشاكل. فالانجيل لا يعاكس اندفاع العصر وتطويره ولكنّه يكرسه في طريق الخير: فتتعرّف الكنيسة الى كل ما هو حسنٌ وجميلٌ في عمل البشرية اليوم: وتساندُه طالما يرمي إلى تكوين وحدة البشر على صعيد الحياة الاقتصاديّة والسياسيّة فترى في تلك الهمة ما يتفق ورسالتها الأصلية. فتُنشئ المؤسّسات الخيرية وتبارك ما يصنعه الآخرون وتجتهد في ان تكونَ همزة وصل بين الشعوب والأمم رسالتها تحملُها وجوهرُها

يحملها إلى أن لا ترتبطَ بمدنيّة ما أو بمذهب سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي ما ، فتصيرُ بشمولها هذا ، إذا ما أُعطت حريّة العمل ، منارةً يستنير بهديها أبناء البشرية المتألمة .

وكلمة الكنيسة إذاك لأبنائها بألاّ يهجروا الأعمال الدنيويّة والتكاتف مع الغير . فالايمان يحثُهم إلى ذلك إذ يضعون في خدمة الجنس البشري كفاءاتهم ومسؤوليّتهم ويحفرون في المدينة الأرضيّة شريعة الله ويشهدون للمسيح في جماعة البشر . فلا تفرقة بين الإيمان والاعمال اليومية ، لا تفرقة بين المهنة والخدمة الاجتماعية والحياة الدينية ، وعلى غرار المسيح العامل ، على أبناء الكنيسة أن يُقيّموا بالقيم الدينية مجهودَهم البشري ، عائلياً كان ام مهنياً أم علمياً ام تقنياً ويوجهوه إلى غايته السامية وبالتالي إلى الخلاص . إذاك تُصبح الكنيسة رمز خلاص العالم بمؤسسها وخالقها المسيح الإله : تصبح السر الأكبر ، فيه تلتقي القيمُ الأرضية بالقيمة التي لا بدء لها ولا نهاية والتي تُعطيها حقيقتها وصدقَ فعاليتها .

٣

لا تكتفي الكنيسة في مساندة العالم في تطويره الى خالقه بأن تُسدي له المبادئ العامة ، وهي نتيجة رسالتها ونتيجة تجسّد ابن الله ونهوضه من الموت ، انما تفتّش معه عن تطبيقها على بعض مشاكله الحسّاسة والملحّة : الزواج والعائلة ، الثقافة وتطويرها ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، حياة الجماعة السياسية وتوطيد السلام . وفي كل هذه الحالات تعتبر الكنيسة أنّ أساس تفكيرها هو الشخصُ البشري واحترام كرامته وحريته .

فلا تنظر الكنيسة بادئ ذي بدء في الزواج الاّ إلى الحب الصحيح بين الزوجين ، والحب خصب بطبيعته ، ينبثق من الحب الإلهي ، توجهه وتغنيه قوة المسيح الخلاصيّة وتطهّره باستمرار خدمة الكنيسة من كل ما يعتريه في تطويره من ضعف . إذاك تتوطّد في الوالدين روحُ الدعوة السامية التي دعاهم الله اليها ويمجّدون الخالق مع ابنائهما ويعطيان للعالم مثال الكرامة والأمانة والسلام . وتساعد الكنيسة أيضاً على التفكير اذ تعلن حسب تعليم بولس الرسول أنّ الزواج إن هو إلا صورة وشركة العهد الذي يجمع المسيح بجسده السري .

وعلى هذين الأساسين تبني الكنيسة الزواج المسيحي ، وما تبقّى فهو

نتيجةٌ . فتفسير الشخص البشري وقد أثاره الايمان يوجّه الى احترام الشرائع الالهية وإلى التضحية في سبيل العهد الزوجي الذي لا تنفصم عراه ؛ والى مشاركة الخالق في خلقه فيحترم الحياة ويتطلّب انجاب البنين في جوّ صاف من الحبّ وتحمّل مسؤوليّات تربيتهم وبستفيد من العلوم كلها ؛ الطبيةّ والاجتماعية والنفسانية ، كي يصل الزوجان إلى التخلص من القلق الذي فيه يعيشان بالنسبة لتحديد النسل وللظروف الاقتصادية والانسانية . بهذا تظل الحياة بصلتها بمصير الإنسان الأبدي توحّه الزوجين إلى قيم الزواج والعائلة ويشهدُ الوالدان نحبّة أوحى بها المسيح للعالم بموته وقيامته .

٥

إمّا الثقافة فبينا تتّجه اليوم في طريق جديدة ؛ وتَرتدي روحاً جديدة ؛ وتُدخل البشرية في طور جديد من تاريخها ، وتُعطي الحياة تفسيراً جديداً وتتزايد فيها النظرةُ الى العلوم والتقنيّة ؛ وتخلق توتراً بين ما هي عليه وبين ما ورثه الإنسان من تقاليد تتأصّل في القيم الداخلية وتتأسس على ركائز النفسانيّة ، العديدة الشُعُب ؛ حسب اختلاف العناصر والبلدان ، يُعطي الايمان التوجيه الصادق : أن في كل هذا لا اهميّة إلاّ للشخص البشري ؛ والعالم الذي تبنيه الثقافة اليوم ، يجب ان يكون عالماً إنسانياً ؛ تتزايد فيه القيمُ الانسانية ؛ إذ لولاها لتوصّل التطويرُ إلى خنق كل حرية وخلق الذعر والوله في قلوب الناس ، وجعل العالم عالمَ الظلم والخوف . فلن يسمحَ للثقافة اذاً إلاّ بأن تكون في خدمة الإنسان وفي خدمة دعوته الكاملة : فيُعطي دوماً نوراً من الوحي الالهي ويقودُ إلى التعرف إلى الكلمة ــ الإبن الذي كان في العالم قبل أن يتجسّد ، نوراً للعقل وهدياً للضمير . فلا انغلاق اذاً على حياة الإنسان الارضيّة ؛ وفي هذا الانغلاق ما يقتل الإنسانَ يوماً إذ يقتل فيه وعيه الديني وانتباهه للصلة التي تربطه بخالقه . إنما الكنيسة لا تُنكر على الثقافة في تطويرها ما أعطته من توجيهات ايجابيّة كحب العلم والأمانة للحقيقة والعمل الجماعي وغيرها ؛ ولكن في أيام يسير فيها العالم نحو بناء وحدة شاملة بالاضطلاع بروح الاستقلال والمسؤولية ؛ تعيد عليه الكرّة بأن تحور كل عمل هو الانسان ؛ وهي هي التي تعمل لتخلّص البشرية من أزمات قد تودي بحياتها ؛ أزمات الاستعباد للسياسة أو أزمات الإذعان المطلق لتطوير مادي وعلمي ؛ اقتصادي واجتماعي ؛ تحمله إلينا ثقافة اليوم . فلا غروَ

اذا ما ألحّت الكنيسة على حق كل إنسان بالثقافة وضرورة شمولها بتطهيرها المستمر من كل عائق يمنع الفرد والجماعة البشرية من الإفادة منها .

يظل موقف الكنيسة هو هو لا يتبدّل على صعيد الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فلا قيمة للثروات وان كثرت ان لم تخدم الانسان في دعوته الكاملة إذ هو محور وغاية الاقتصاد والاجتماع .

يخاف المفكرُ اليوم من طغيان الإقتصاد والقضاء على شخصية الإنسان . يخاف من عدم توازن بين الشعوب الذي يؤدي إلى الاستعباد . فتقول الكنيسة أن ذلك التطوير الاقتصادي يجب أن يظلّ تحت إشراف الإنسان بما فيه من انسانية خلاقة ، وروح خدمة الخير الشامل ، ومساعدة أخيه الإنسان للوصول ، بواسطة المادة ، إلى ما يصبو إليه بحريته . ولذا فتصير أعمال الإنسان ملأى بالتوجيه الانساني والالهي معاً وقد أعطى المسيح الشغلَ قيمته الخلاصيّة يوم كان يعمل في الناصرة . فلا مندوحةَ إذاً في تخمة الغنى من ان ينظر الانسان الى اخيه ويشركه بعمله ويعطيه الأجرة العدل ويسمح له بالتفتح الاجتماعي والثقافي والروحي اذ ليس الانسان العامل آلة انتاج وإثمار ، انما له كرامة تنبثق من كرامة الله بالذات . فأموال الأرض للكلّ ويجب أن تساعد الفقر والعوز لتزيلها أو لتخفف من وطأتها . إذاك تهدف الأموال ويهدف العمل الى ملكوت الله ويساندان الانسان في سيره الخيّر دون أن يكونا بثقلتهما او بكثرتهما عقبةً تحول دون الوصول الى من قال : طوبى للفقراء بالروح . وعلاوة على ذلك فتلح الكنيسة قائلة إن للملكيّة الخاصة معنى إذ تتصل بالإنسان ؛ لها معه صلة الحريّة التي تعبّر عن نفسها بامتداد الروح الى المادة والسيطرة عليها .

وإذ تتزايد اليوم التغيرات العميقة في مؤسسات الشعوب وأنظمتها بتزايد التبديلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فإن الكنيسة تعود وتتكلّم على حقوق وواجبات المواطن في خدمة الخير الشامل . وإذا ما وضحت اليوم ، اكثر مما مضى من الزمن ، كرامة الإنسان وحرية الاجتماع فتطلب الكنيسة حقّ الكلام للكلّ وحرية الفكر والضمير والدين وبالتالي تسهر على حقوق الاقليات وفي ذلك يقوم التطوير الصحيح والنمو بروح

العدل الصادق . وإذا ما زادت سلطة المؤسسات والدول ، فتهبّ الكنيسة للدفاع عن حقوق الأفراد . فلا تفرقة إذاً بين أعضاء الوطن الواحد الذين يتوجّب عليهم حمل المسؤولية في لعب الدور الذي يعود لهم في تطوير الوطن ومفهوم السلطة . وإذا ما شطّت الدول في تأكيد استقلالها المطلق فتعود الكنيسة لتفهّمها أنها ودولٌ الأرض في استقلال نسبي وكلاهما يعملان في خدمة الشخص البشرية والاجتماعية وبالتالي لخدمة ملكوت الله .

٥

أما وقد صارت البشرية واعيةً لوحدتها وتكاثرت الوسائل لتسهّل تكاتف وتعاضد اعضائها في الخدمة ؛ تنبّه الكنيسة ابناء العالم ؛ وقد هدمت الحروب حياةً غالية ودمّرت معالم مدنيّات عظيمة ؛ الى ضرورة احلال السلام والسهر عليه ، إذ السلام يتطوّر وينمو ويذبل إذ ما سهر الجميع على احترام خير الشخص البشري وكرامته وتوزيع الثروات المادية والروحية . فالسلام ينبت من قلب الإنسان ، وفي قلب الانسان تتأصل الحرب ، في انانيته . ولذا فالكنيسة تطهّر ذلك القلب وترتّل الحان المحبّة التي لها وحدها القوّة ان تقرّب الانسان من اخيه الانسان وان تنتصر على همجيّة الحروب وان تفرض احترام الأقليات وان تضمن السلام العالمي . وإذا ما جمعت الشعوب الأسلحة وصرفت الثروات الطائلة في سبيل تكنيزها فلا رادعَ عن استعمالها سوى التكاتف لوضعها في خدمة الإنسان والعودة الى جمعية الامم لتفادي التفرقة ولتكوّن نظاماً اقتصادياً عالياً يستفيد منه الجميع ويخدمُ التفتّح الإنساني ويعتق البشرية من شبح الفقر أو من تخمة الثروة لتنتفع من الروحيات . انما على كل شعب أن يهمّ في نطاق ثرواته البشرية والماديّة وأن يسعى لتحسين احواله وألّا يعيش فقط في رجاء ما سيأتيه من حسنات الغير . وفي هذا كلّه تنبه الكنيسة الأفرادَ والجماعات إلى أن الإنسان ، وإن أحتاج إلى الخبز ، فإنه لا يقتات فقط من خبز الأرض .

٥

الخاتمـــة :

في جوهر الكنيسة مكالمة العالم . فلا يحق لها أن تظلّ في برج عاجي تحفظ الحقيقة لها ولأبنائها ؛ ولا أن تُكنز وسائل الخلاص لها ولأبنائها . تقودُها أمنيّةٌ من صُلب رسالتها ؛ وهي في أن تكون مع البشر في حياتهم لتقودَهم إلى الاتحاد بالله بالمسيح يسوع . تشعرُ بتوق لا يترك لها من سبيل للراحة ؛ توق إلى الرسالة بالتبشير بكلام الله وبالخدمة وبالحياة الطقسية حول مائدة الخلاص . تودُّ أن تتحرّر مما تتعثّر به في سيرها لتحملَ ، في عناق العالم ، مثل الحرية لمن افتداهم الكلمةُ المتجسّد ليُعتقوا من ربقة العبوديّة ويتكاتفوا في محبة صادقة ويُعطوا العالم وجه الانسان وإمارات الله . فيُكرّسونه خليقةً لا تتلاعبُ بها أيدي الشر ، خليقةً تنبع منها حياةٌ لخدمة الانسان : «أتيت لتكونَ لهم الحياة وتكون لهم أوفر» (يو ١٠/١٠) .

تعريف عن الكتب

PATRICK SCALE, *The Struggle for Syria*. — Oxford University Press, London 1965; 344 pp.

ليس من الخفيّ على أحد ما للسياسة السوريّة من التأثير على توجيه السياسة العربية بأجلها ومن المشاكل التي تعتريها وتعتري تطويرها ولقد اراد المؤلّف ان يسير في حنايا تلك السياسة ليعرض علينا وحدة الفكرة في ردات فعل عديدة ومختلفة . ولم يكتف بعرض الحوادث كما جرت ولكنه اراد ان يعطيها بعض الجذور في تربة تتأثر بالتقاليد وهي منفتحة على عالم جديد . فيدرس الهاشميين والخلال الخصيب ومصر والوحدة العربية ويُلقي نظرة على من كانت البلاد تدّخرهم كوطنيين صادقين وبعد ذلك ينتقل الى الثورة التي ما زالت تتتالى على سوريا والى الاحزاب والى الجيش الى ما هناك من مؤسسات تعطي البلاد صورتها او تنزعها عنه لوقت الى ان يستتب الأمن ويعود الاقتصاد الى مجراه الطبيعي .

ففي كلّ هذه الصور وهذه المراحل التي يحللها المؤلّف ترى ما عنده من عقل ثاقب ومن سعة اطلاع ومن دراية في ابداء الاحكام دون تهوّر وهو يعلم انه من الصعب على هذا الصعيد أن تكون الافكار واضحة جليّة ولم يمض عليها الوقت الكافي لابرازها بحلّة يصدقها التاريخ .

ولكن ما في هذا المؤلف من خير انه لم يقف فقط عند السياسة بل فهم ما للسياسة من ابعاد فجرّب ان يسبر غورها ولم تكن غايته اعطاء أحكام نهائية بل بعض الوثائق للمؤرّخ الذي يساعده الزمن على غربلة الامور والبقاء على الصحيح منها .

ا. ع. خ.

J. LARTIGOLLE, *Vocation chrétienne du travailleur moderne* — Édit. P. Lethielleux, Paris 1964, 115 pp.

للشغل في حياة الانسان سمة الهية اذ «الله يعمل دائماً» . ولذا فلا يحق لأحد أن يعتبره كعقاب الخطيئة الاولى فقط انما هو يشبّه الانسان بخالقه ويجعله يطيعه في أعماله اذ خلق الله الانسان ليعمل .

وللشغل في حياة المسيحي معنى اذا ما نظر الى بعيد وخصّ تفكيره بمن هو المخلّص الذي احرز للانسان الذي يريد انتصاراً في النعمة على كل ما يتصداه من تجارب ومحن . وهي هذه الصلة ، صلة الشغل بصليب المسيح الاله التي

تعطيه القيمة الخلاصية . ففي التجسّد قوّم الكلمة الالهية كل اعوجاج مبدئياً وأعطى المادة أن تلعب في حياة الإنسان لا دورَ المخرّب ولا دور الثلاب ولكن عليهـا ان تكون في قلب من أراد التقرّب الى الله بالوسيط الوحيد وسيلة أمينة مقدّسة .

وهذا ما أراده المؤلف في هذا الكتاب الذي نحن بصدده ونحن على يقين ان كُتُباً كهذا تساعد على اعطاء الفكر غـذاءً وقوتاً لئلا يقنط من الشغل أو من التجربة فيهجر الأمل قلبه ولا يعود يفهم قوّة الحياة في صلتها مع خالقها .

ا.غ.خ

A. M. Goichon, *L'eau, problème vital de la région du Jourdain* (*Correspondance d'Orient*, N. 7. — Publications du Centre pour l'Étude des Problèmes du Monde Musulman Contemporain, Bruxelles 1964 — 127 pp.

في هذه الصفحات تأريخ ، منذ نهاية الحرب الأولى ، لمشكلة مياه الأردن واليرموك . ولسوء الحظّ لا نستطيع اليوم ان نقول أن هذه المشكلة مضت وقُضي عليها او أن الايام الحاضرة أحسن من العابرة تجد لها حلاً مقبولاً . فلن نلحّ على ما لهذه المشكلة من شائك ومؤسف ولقد تدخّلت السلطات الاوروبية وهيئة الأمم المتحدة لحلّها دون جدوى .

انما ما جمعته المؤلفة في هذا المقال لمفيد جداً ويحسن بنا أن نطالعه فنرى من خلال المعلومات العديدة التي جمعها هذا الكتاب قيمة المياه لحياة اراض تظل صحراء اذا لم تروها وتبدو جنّة فيحاء لا فقط في المزروعات ولكن في تطوّر البلاد على صعيد صناعي واقتصادي شامل اذا ما تدفقت فيها كنوز الحياة .

ا.ع.خ.

Antoine Wenger, *Vatican II, chronique de la seconde session*, Édition du Centurion, Paris 1964 — *Vatican II, chronique de la troisième session, ibid.* 1965.

شاهد عيان تشعر عند قراءة هذين الكتابين ان المؤلف يعطيك مما رأى وسمع وانتقد . وفي كل السطور كأنه يطلب صحبتك ليطلعك على حقيقة الأمور وعلى الترفع عمّا اعطته الجرائد وحرّفته مرّات طيلة اجتماع المجمع المسكوني فهناك حكمة التأويل وصواب التقليد وسداد الرأي في اختيار موقف دون تيجح .

تلك الأيام عاشها المؤلف في المجمع المسكوني الثانيكاني فسجّل ، يوماً بعد يوم ،

بدقّة غالية كل تحسّساته فتى كتاباه هذان مرشداً لمن لم يحضر جلسات المجمع ويريد أن يتتبّع اقوال وآراء الآباء المجتمعين لتأويل الوحي ولحمل التفسير الصحيح الى ابناء الدين المسيحي وثروة البشارة المسيحية الى العالم بأسره .

كتابان يكوّنان منبع الدرس بعد سنين لمن أراد أن يخط تاريخ الاجتماعات المجمعية . ونهنىء المؤلف على دقته وان اخذنا عليه بعض الميل الى فريق دون الآخر . انما في هذا أمر طبيعي وفطري على المؤرخ أن يصلحه بعد ذلك .

ا. ع. خ.

MICHEL HAYEK, *Le Mystère d'Ismaël*. — Édit. Mame.—Coll. Concordances — Paris 1964, 300 pp.

في هذا الكتاب من أحسن ما أعطاه المؤلف الى الآن فالدرس يرتكز الى النصوص الأصلية والفكرة تنبت منها أمينة ثابتة . فالمواضيع والمشاكل هنا تتوالى بمنطق وحكمة من شخصية محمّد رسول الاسلام الى قيمة القرآن بالنسبة الى المسيحية والدين اليهودي . أهناك رسالة ؟ أهناك وحي . على كلّ من الضروري ان يقف القارئ المطّلع على حقيقة الدين الاسلامي في تاريخ الوحي والخلاص .

ففي الإسلام ما يصله بابراهيم بالوحي اليهودي المسيحي ؛ انما ما معنى ابراهيم في هذا الموقف الإسلامي وكيف يكوّن الصلة الوطيدة بما تقدم ولحق .

يقف المؤلف أمام كل هذه المشاكل ويفتش في الاصول الاولية عن جواب لأسئلة كهذه فيه ما يفسح المجال للعلاقات المقبلة بين الاسلام والمسيحية واليهودية . فيستعمل لهذه الغاية علم الآثار ودرس الشعوب وتطويرها ويقرّ بأن الاسلام نبت من ابراهيم ويحتفظ بتقاليد بدائية معاصرة لأب التاريخ المقدّس . ومن جهة اللاهوت ايضاً فالاسلام يظلّ في طبقات بدائية ايضاً تسبق العهد وتمدّد في الزمن طفولة ابرام الروحية ؛ ذاك الذي سيصير يوماً ابراهيم .

فستة أجيال بعد العنصرة وبعد وقوف الوحي يعود محمد رسول الاسلام بنور خاصّ الى ما خلّفه ابراهيم لاسماعيل وحُفظ في الصحراء العربية ويقف بهذا التراث على مدخل التاريخ المقدّس . ولذا فالاسلام يعيش دعوة اسماعيل ذاك الذي رذل من الوعد والذي يثور على من يحفظون الوعد كأنه لهم وحدهم .

ففي اسلوب شيّق وعمق تفكير يخوض المؤلف كل تلك المواضيع ويرافقه القارئ بشوق الى اكثر فأكثر فينال من فيض ما يُعطيه ويغدق عليه .

ب. ج.

Laïcat et Sainteté : T. I: *Laïcs et vie chrétienne parfaite* par C. COLOMBO, J. GIBLET, B. HÄRING, I. HAUSHERR, S. LYONNET, K. TRUHLAR — Herder, Rome 1963, 275 pp. — T. II: *Sainteté et vie dans le siècle* par J.M. DIEZ ALEGRIA, J. GIBLET, I. HAUSHERR, S. LYONNET, C. SPICQ, G. THILS, K. TRUHLAR, P. VAN BERGEN. — Herder, Rome 1965, 264 pp.

لكل عصر توجيه عقائدي وتوضيح أفكار كانت مغمورةً في ما سبق من العصور بين طيّات التاريخ فتظهر الى عالم الوجود تحت تأثير سير الأيام ومتطلبات البشر . وها هي تحت تأثير الروح القدس افكار تبدو جديدة وتظهر اليوم في حلة تعطيها معالم الفكر المعاصر المسيحي ألا وهي دور العلماني في سير البشريه داخل تلك المؤسسة الإلهية التي تُدعى الكنيسة . وبما أن جميع أعضاء الكنيسة مدعوون الى القداسة في خدمة المسيح الإله فها كم مجموعة من المقالات ألّفها جمهور من الكتّاب الكنسيين المرموقين يحلّلون على اضواء الكتاب المقدس والتقليد المسيحي صورة القداسة التي على العلماني أن يعيشها .

ففي المجلّد الأول سبع مقالات يتطرّق فيها المؤلفون الى درس الدعوة المسيحية الى الكمال في رسائل بولس الرسول والى صلتها بالدعوة الرهبانية والى ما يعود الى العلمانيين من تطبيق النصائح الانجيلية على حياتهم والى درس الكمال في الحياة الزوجية والى الفقر والى الطاعة التي على العلماني ان يتميّز بها . وهناك مقال سابع يعطي المبادئ الاساسية للكمال المدعو اليه كل مسيحي في أخلاقه وادبياته .

لم يتهاون المؤلفون في التمحيص والعودة الى الأصول ليشبعوا درسهم مما كان وسيكون دوماً أساس النظرة المسيحية الى الحياة واساس الحياة نفسها فيؤول كل منهم بعمق وسعة اطلاع النصوص التي يسردها والتي تعطي مقاله قوّة وتفكيره امانة ليبدي القارئ الى طريق الكمال بدقة وصواب . ولن ينتفع من قراءة هذه المقالات السبع الاّ من كان له من تفكيره ومن حياته النمط الكبير فيعود اليها وتهديه الى اعمق . ولم يؤلّفها اصحابها الاّ لهذا فتكون في هذا الوقت بالذات عوناً للعلماني الذي يريد أن يتفهم حياته في الكنيسة هدياً ومساعداً .

اما المجلد الثاني فيعود الى الحياة اليومية ويعطي في تسع مقالات نظرة على الكمال والعمل في العالم : على الحياة اليومية الملأى محبة في المجتمعات المسيحية الاولى : على صلاة المسيح الفعّالة وصلاة الكنيسة : على الحياة اليومية كتقدمة وذبيحة : على صلاة المسيحي المستمرة : على المحبة الحقيقية ، على تطبيق وتجديد الروحانية المسيحية : على كمال المحبة والحياة الاقتصادية والاجتماعية ، على العلماني المبشّر بالقيم الاخروية .

رغبة المؤلّفين في هذا المجلّد ان يظهروا للقارئ ان القداسة ليست للاوقات الغير اعتيادية ولكنها للاعمال اليومية البسيطة التي عليه أن يُظهر من خلالها محبة كبرى تقرّبه الى الله . فالبطولة ليست بطولة الشهادة والاستشهاد فحسب ولكنها بطولة الحياة اليومية التي يعيشها الانسان في صغائرها وعقله الى الله مرتفع وقلبه لأوسع آفاق المحبة طامح .

على كل منا ان يعطي النور الذي ناله بالعماد وان يكون للآخرين سبب فرح وانشراح . فالنور محبة والفرح نتيجة المحبة والمحبة وعي للخدمة. فلا حاجة لانتظار الظروف فالظروف امامنا وعلينا ان نستغلها فتعود علينا وعلى غيرنا بالخير والآثار .

نتمنى على اصحاب هذه المجموعة أن يتابعوا هذه الدروس المشرّقة وان يعطوها اهمية التمحيص والدرس . فيها يجد العلماني طريق التفكير والحياة .

ا.ع.خ.

GASTON WIET, *Introduction à la littérature arabe*. Éd. G.-P. Maisonneuve et Larose. — Paris, 1965, 310 pp.

عجالةٌ خطّتها يدٌ ماهرة استخلصت من أجيال تاريخ آداب أمة وشعوب جمعتها وَحدة اللُّغة وبعثت ذلك التاريخ ينبض حياةً تتلألأ فيه أنوار التفكر في الاصول الاولية التي ميزت الآداب العربية .

في الكتاب سعة اطّلاع واحكام صائبة وترتيب وتنسيق ميزات عبّرت عن فترات في تلك العصور فراح المؤلف ، ولم يكن باستطاعته ان يطالع كل ما يتدفق في الاسواق من انتاج هذه البقع من العالم ، يستند الى بعض النقاد الغربيين فيعطينا آراء نجد فيها رجاحة الحكم وصواب التفكير . انما نأخذ على المؤلّف ، خاصة عندما يتكلم على الآداب الحديثة ، بعض السرعة في البرهان والتسرّع في الحكم . ولا نذكر مثلاً على ذلك الاّ ما قاله في الشاعر سعيد عقل ممّا يدلّ على عدم الاطلاع على ما كتبه هذا الشاعر الملهم والكاتب العبقري . وما اعطاه للآداب العربية من ثروة فكر وغنى قلم وعمق روح تنبض في كل كلماته .

وفي انتقادنا هذا ما يسمح للمؤلف في أن يعود الى كتابه ويكمله لطبعة ثانية فتكتمل فيها الدروس وتستوفي فيها شروط التعمّق والوقوف على آخر ما كتب المؤلّفون الذين يحلّل .

ومع اقتضاب صفحات هذا المؤلّف فاننا نجد فيه ما ينبئنا عن الأهم في الآداب حسب تطويرها التاريخي في البلدان التي اشتهرت بنهضة لغوية أو تاريخية او فلسفية في فترات طويلة من تاريخها الأدبي . وفي هذا نجح المؤلّف وخلق عندنا توقاً الى المزيد من المعرفة واستمرار في الاستكشاف ، والعالم الاسلامي والعربي جزء من التاريخ الشامل واللغة العربية اداة انسجام وأداة ثقافة . ولقد توصّل مفكرو العالم الجديد (الاميركيين) ان يتحفوا العالم بعصارة تفكيرهم في اللغة العربية . وهذا ما اراده المؤلف ان يُدخل في حيّز الثقافة العامة اموراً ظلّت الى اليوم من امتيازات التنقيب العلمي . ولقد استعمل المؤلف للتعبير عن افكاره لغة صافية سهلة ودقيقة تساعد القارئ على متابعة مطالعة الكتاب دون ملل .

ا.غ خ.

ADEL ISMAIL, *Le Liban, Histoire d'un peuple*. Éd. Dar al-Makchouf, Beyrouth, 1965, 214 pp.

مهّد المؤلف لكتابه الحاضر بدروس ونشر وثائق قيّمة جعلته يثق من نفسه باعطائنا هذه العجالة يصوّر فيها تاريخ لبنان ؛ تاريخ شعب حمل اجهاده وآلامه بعنفوان وانفة كان دوماً ابياً لم يخنع امام اعاصير الدهر . ولقد تقلّبت عليه الايام ودار التاريخ دورانه ولبنان هو هو في صموده يفتّش عن ثقافة وتنوير ؛ عن تعمّق في القيم الانسانية ومساعدة الغير ؛ عن تحرّر وتحرير . فكان له في ايام كالحة عبرها وسار دوماً الى الاستقلال فإلى تبوّء المراكز العالية من الدفاع عن القيم التي يمثلها في تاريخه وفي حاضره ان يسير عالي الجبين . ولقد نستطيع القول ان لبنان هو نفسه صار قيمة .

لم يكن باستطاعة المؤلف ان يحلّل ويطيل الكلام على الفترات الطويلة من تاريخ لبنان ولقد ذهب الى درس الفينيقيين والكنعانيين اي ما يعادل السنة ٣٠٠٠ الى السنة ١٦٨٠ قبل المسيح . وسار الى الفترة الاخيرة التي تقع بين ١٩١٤ و ١٩٦٥ . انما وراء كل فكرة وكلمة وحكم يُبديه نشعر بأن الوثائق العديدة تتحرك لتدعم القول ولتسانده . واننا نتمنى على المؤلّف ان يُعطينا يوماً تاريخ لبنان اذ تؤهله الى ذلك كل ما جمعه من الوثائق والمخطوطات وما اظهره الى الآن من روح علمية لا توارب ولا تحابي ونحن نعلم ان ذلك التاريخ لم يُكتب بعد.

ا.ع.خ.

JOSEPH LÉCUYER, *Etudes sur la Collégialité épiscopale.* — Éd. X. Mappus, Lyon, 1964, 107 pp.

هذا الكتاب ابن الظروف وفيه من التنقيب ما يجعله يعطي مشكلة الجماعية الأسقفية نوراً في تطوير مفهومها التاريخي. فلقد تكلم عليها المجمع المسكوني ودار حولها حوار ونعلم ان الحوار لا يجدي نفعاً ما لم يتغذّ من التاريخ. والتاريخ المدرّب الاسبق في تدقيق الأمور وخاصة في كنيسة تُعطي التقليد قوّة ايمانية.

ولقد تطرّق المؤلف في درس موضوعه الى ما قاله البابا سلستينوس في رسائله العديدة عن الجماعية الاسقفية أو عمّا يستنتج منه عنها وبعد ذلك انتقل الى الاحبار التالية. من الخمس ها بعد. وفتّش في الطقسيات أسس العقيدة تلك إلى ان توصّل الى تحليل فكرة التقديس توما الأكويني وفي كل هذه المراحل نجد النصوص تجتمع إلى غيرها من النصوص وكأني بالموضوع يخاصّر من كلّ الجهات فتنجلي الافكار ونرى ان من حارب في المجمع المسكوني مفهوم الجماعة الاسقفية لم يكن على دراية بالموضوع كما تقلّب الينا في تعليم الكنيسة وفي حياتها.

وإذا ما قلنا ان هذا الكتاب ابن ساعته فإننا نعطيه قيمة البرهان الوضعي الذي يجده العالم لدعم نظريّة ولدحض مناقض. ولقد نجح المؤلف في الوصول الى هدفه.

ا.ع.خ.

YOUAKIM MOUBARAK, *Calendrier synoptique juif, chrétien, musulman.* Interférences. — Paris, 1965 (4, rue des prêtres de St-Séverin). — 112 pp.

هذه الروزنامة ١٩٦٦ لتؤدي فائدة كبيرة ومبتكرة للصداقة بين الاديان الموحدة وللتقارب بينها، وذلك على الصعيد الديني. تنقسم الى ثلاثة اقسام:

١) الجزء الاول يشرح طريقة استعمال الروزنامة؛ هدفها ونطاق فائدتها ويبين لنا الروح الذي اراده المؤلف في تأليفها ووضعها في خدمة العلم.

٢) الجزء الثاني يُعطينا الروزنامة الإزائية مع معادلات الاديان الثلاثة لكل يوم من السنة. مثال على ذلك: فأوّل كانون الاول لهذه السنة يعادل ١٨ كسلر لليهود و١٨ شعبان للمسلمين. ولقد ضمّ هذا الجزء الاعياد الطقسية مع كل ما هناك من ذكريات تاريخية ظنّ المؤلف ان فيها فائدة للقارئ ان يتواجه بها يقرّب بين الاديان هذه.

٣) يحتوي الجزء الثالث على ثبت للايام والاحتفالات الدينية. توسّع المؤلف

بهذا الثبت لان مراده ان يعرّف بهذه الامور في معناها الروحي وخدمة للصلات التي تكوّنها بين المؤمنين في الأديان الثلاثة .

لا نكبر أن في الاضطلاع على هذه الروزنامة وتحاليلها فائدة ثابتة. تسهّل لابناء الأديان هذه ان يتعارفوا ويتحابّوا . ولقد أرادها المؤلّف دينية بعيدة عن المبالغة في تكثير الحواشي والمظاهر العلمية .

ولقد نأخذ على المؤلف بعض التلميحات التي ليس فيها من أساس مكين وبعض الاحداث التاريخية التي يُشكّ في ميزتها الدينية وبعض النقص في تحقيق أمور كان من الواجب ان توضح . ولنا الأمل ان روزنامة ١٩٦٧ ستصلّح هذا كلّه .

وما نأخذه خاصة على المؤلف هو ان روح بعض قرارات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في ان ننسى بعض الاحداث التاريخية التي فيها ما يؤسف عليه . فما اراد المؤلف ان يمرّ بها دون ذكرها ظناً منه ان على هذا العبء التاريخي تُبنى الصداقة . واننا نعلم ان النسيان هو احسن طريقة للوصول الى التفاهم والصداقة . هناك ظروف ليس فيها للتاريخ ان يوجّه الى الحيـــاة .

م. دي الباذا اليسوعي

HANS KÜNG : *Le Concile, épreuve de l'Eglise*. — Edit. du Seuil. — Paris 1963, 250 pp.

عمق وجرأة لمواجهة مشاكل الكنيسة عامة والمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني خاصة . ميزتان تعبران عن حرية ابناء الله وتجعلان منه كتاباً ذا قيمة عظيمة وقد القى على المشاكل اللاهوتية الراهنة وعلى موقف الكنيسة منها وعلى الحوار الذي سيدور بين المسيحيين الى اية كنيسة انتموا أضواء جديدة . ومن طالع هذا الكتاب لن يتركه بسهولة فيعود اليه ليستقي منه لا معلومات عديدة فحسب بل روحاً وتوجيهاً قلّ ان يرى مثلها في كتاب صغير الحجم كهذا . فالمؤلف وهو اللاهوتي الكبير انطلع اليوم في أفق الكنيسة لا يريد ان يخفي مـــا في المشاكل من صعوبات وهو حريص باتّزان ان يسير في ابعاد هي وحدها امينة كي تعطي الوحي الالهي والكنيسة موضع الوحي فعاليتهما الحقيقية .

وفي هذا الكتاب الجواب الشافي لكل من ضعفت ثقته بالروح القدس وبالكنيسة وصار حائرًا امام التجديدات التي تدخلها هذه الاخيرة في

حياتها : جديدة في شكلها الخارجي ، تقليديّة حسب روحها الاصيل اذ تعود بنا إلى عصور مسيحية كانت ينبوع الحياة في مختلف الميادين .

ا. ع. خ.

JEAN GUITTON : *L'Eglise et les laïcs, de Newman à Paul VI.* — Edit. Desclée de Brouwer, Paris 1963, 195 pp.

ايحقّ للعلمانيين ان يبدوا الرأي في مسائل العقيدة الايمانية ؟ هو سؤال كان له صداه في الجيل الماضي في رومة . فامام ردة الفعل التي حصلت في المدينة الخالدة فعّل نيومان ان يلتزم الصمت . وبات اشكال عند هذا الحدّ .

المؤلف وهو تلميذ الكردينال نيومان والذي كتب مؤلفين عنه : يعود الى تلك الوثائق : ينشرها ويؤوّلها . ويعيدها الينا حيّة في مأساة رامبلر : نيومان امين من نفسه ولكنه عرضة لسهام طائشة ، والمجامع الرّومانية مقيّدة بمفاهيم المفردات التي تستعملها ؛ وهناك ايضاً رأي عام يريد ان تطبق الكنيسة اوضاعها على اوضاع الجيل الطالع .

وبينا يتكلّم المؤلف يعرض علينا دور العلمانيين في تطوير الايمان . يشرح معنى التقليد كينبوع للوحي . يعرض دور العلمانيين في الجيل الرابع في حماية مجمع نيقوى وما طلبه بيوس التاسع سنة ١٨٤٨ قبل تحديد عقيدة الحبل بلا دنس وما طلبه ايضاً بيوس الثاني عشر قبيل تحديد عقيدة الانتقال واخيراً ما حدث في تهيئة المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني وما حوته رسالة الاساقفة الهولنديين من ان هناك « رأياً عاماً » في المسيحية كلّها .

ولكن ما هو دور . ما هي روحانية وما هي قاعدة عمل العلمانيين ؟ فتّش المؤلف في الماضي عن وجه المستقبل وفحص تلك المشاكل . يعرض « قاعدة حياة » وشرعة حياة العلماني ويوجّه الى مظاهر شهادة العلمانيين في كنيسة الغد .

كتاب ملؤه الوثائق ؛ كتاب وضع فيه المؤلف كثيراً من شخصيته الفذّة ؛ كتاب له اليوم قيمته الخاصة ؛ قيمة الوثائق القديمة وقيمة المجمع الڤاتيكاني الثاني الذي درس في اجتماعاته مسألة العلمانيين ؛ كتاب له قيمته ايضاً اذ كتبه اول مراقب علماني دخل المجمع المسكوني .

د. د. ب.

J. CHELHOD : *Les structures du sacré chez les Arabes.* — G.-P. Maisonneuve. — Paris 1965, 288 pp.

يجيب المؤلف في كتابه هذا عن سؤال هامّ الا وهو : ما هي الركائز الاولى التي يستند اليها الاسلام في تطويره . لا يريد العودة بصورة نهائية الى درس العقيدة الاسلامية والواجبات الطقسية انما غايته التوصّل الى تفهّم الدين الإسلامي في مميّزاته الأساسية وإلى التيقّن من أن تصويره للتقديسات قسم من دعوته العربية وهو يدلّل على نطاق نفوذه وامتداده .

ففي هذا الكتاب اذاً خدمة جلّى لحلّ المشكل الذي يدرسه علماء الشعوب وهو في الوصول الى أسس الفكرة الدينية الاسلامية وفي معرفة الميزات الثقافية الثابتة التي منها يستطيع الانسان التوصل الى فهم التقدّم الذي اعطاه الاسلام للعالم والذي يتّسم بوسمه .

يجد في هذا الكتاب غذاءً لا العلماء الذين ينكبّون على درس الاسلام فحسب بل علماء الاجتماع ايضاً وكلّ من راقه درس الاديان الكبرى .

ج. ج. م.

JEAN LACAN : *Les Sarrasins dans le haut Moyen Age français.* — Paris. — Préface de Gaston Wiet. — G.-P. Maisonneuve et Larose, 1965, 210 pp.

ممّا يُعرف اليوم عن العرب في فرنسا على مرّ الاجيال هو ان شارل مارتل انتصر عليهم في بواتيه سنة ٧٣٢ وكتب التاريخ لا تقول شيئاً عمّا تبع تلك المعركة الحاسمة مع أن الوثائق موجودة ان في نصوص العصور الوسطى وان في تلك التي تحفظها لنا الآثار الحجرية . وهذا ما يطلعنا عليه هذا الكتاب . فلقد استعملها المؤلف وسار في درسه الى نتائج وضعيّة وصار لنا نصّ نعود اليه ونفهم تاريخ وجود العرب في فرنسا وقد حفروا في الحجر ذكرهم في الرويسّيون واللانجدوك وبروڤانس والڤيڤارد وخط الرون الى الألب . نعم هي قليلة مخلّفات العرب في فرنسا وليست كالتي خلفوها في اسبانيا الاسلامية . فاعتنى المؤلف خاصّة بدرس الآثار واعطاها توجيهاً جديداً اذ كان ذلك العلم لا يهتمّ إلاّ بما خلّفه الرومان والمسيحية . فقضى عشر سنين في تنقيبات دقيقة تسهّل له فهم حقبة من التاريخ تظل بحاجة الى نور .

ا. خ. خ.

KARL RAHNER, *Mission et grâce*. — Tome II: Serviteurs du Peuple de Dieu. — Edit. Mame. — Paris 1963, 294 pp.

للمؤلف قوة جمع وتحليل المبادئ اللاهوتية وتطبيقها عملياً على الحياة الرعوية والعالم القائم : له دقة في التحليل وحرارة الكلمة في التعبير عن افكاره ، له ايضاً روح الايمان المتعلقة باهداب التقليد الكنسي والوحي الالهي والجرأة امام مشاكل الحياة الجديدة . ففيه اللاهوتي والراعي ، فيه الكاهن والانسان الذي يكلم انسان اليوم : الذي يخاطبه والذي ينظر اليه نظرة عطف ومحبة صافية .

هذه الصفات مع ترجمة وافية تروق القارئ وقوة المشاكل المدروسة : كل هذا يطلعنا على نجاح هذا الكتاب في الاوساط الفكرية . ففي فصول عشرة يدرس المؤلف الوظائف المهمة في الكنيسة ويقوم بهذه الدراسة بما عرف عنه من نظرة الى الحياة الوضعية والى الاوضاع الحقيقية دون ان يتعثر بادئ ذي بدء بعرض افكار وتوجيهات . ومن نتائج طريقة المؤلف اننا نصل الى تحليل عميق عن الكنيسة ، الى تحليل ملؤه الحياة مع ما في ذلك من وصف صادق لعالمنا في النعمة التي يهبها الله له وفي خطيئته . فالكنيسة للعالم لا لتسيطر عليه ولكن لتخدمه . وفي ذلك وحي من فكرة يوحنا الثالث والعشرين ومن توجيهات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني .

نتمنى لهذا الكتاب رواجاً يستحقه لا فقط بين الاكليروس والرهبان والراهبات ولكن بين العلمانيين . فانهم يستقون منه امانة لعملهم وقوة في رسالتهم كل واحد في نطاقه وحسب ما أعطي من مقدرات فيكونون من خيرة « خدام شعب الله » .

ا . ع . خ .

MAXIME RODINSON, *Islam et Capitalisme*, Paris, Éd. du Seuil, 1966, 304 pp.

ينم هذا الدرس عن استقامة في التفكير وعن ثروة معلومات غير يسيرة وان المؤلف ابتدأ بتحاليل بعض ظروف تأثير الاسلام الاقتصادي في التاريخ الماضي وفي ايامنا الحاضرة ولقد استند بادئ ذي بدء الى مبادئ حديثة ليُبدي حكمه على الحقائق الاجتماعية الاقتصادية فكان كتابه هذا ثرياً وللقارئ مفيداً وبخاصة عندما استعمل ثقابة النقد لتوضيح التوجيهات المختلفة والنظريات العديدة . فلم يستسلم للمقارنات السهلة التي لا تجدي نفعاً

ولقد نجح باعطائنا بصورة مرضية وجهات نظر جدلية ونظرة ايجابية الى حقيقة الحدث الديني الذي لا نستطيع شرحه باعادته إلى شروح اقتصادية حديثة. ولا غرو اذا ما وجدنا بعض القراء يفضّلون الوجهة الاقتصادية على الوجهة الدينية عندما يتأكدون من ان تأثير الدين على الاقتصاد لا يزال سطحياً.

واذا ما أردنا أن نذكر بعض الافكار التي تتردد عند المؤلف فانها من عصارة تفكيره ونتائج اختبارة ومطالعاته. ولقد نجد أنه لم يخف من الوقوف المتواصل على بعض تفاسير قرآنية حديثة ولربما كان في ذلك مبالغة كبيرة. وما اعطانا المؤلف من عرض سريع جامع وذي قوة تتضارب فيها المفاهيم الاّ ليحصل القارئ على التفكير الناجع. ومثلاً على ذلك ما نراه في الصفحة ١١٥ عن عدم تطابق العمل – والنظريات في التفكير الاسلامي الأدبي. ولربما نجد لهذه الملاحظة معنى في كلّ الاديان تسيطر على الفكرة اللاهوتية حتى في الأوساط المحافظة.

فالكتاب الذي نحن بصدده ليؤدي الخدمات الجلّى للتفكير لا للدقة العلمية والتنقيب الصرف.

ا. دي الباذا اليسوعي

XAVIER RYNE, *The Second Session*, Éd. Faber and Faber, Londres, 1944, 374 pp.

بدقة وصراحة يتتبع المؤلف مراحل الجلسة الثانية للمجمع الڤاتيكاني الثاني ويعطينا صورة وضعية صادقة عمّا جرى في تلك الايام حيث الحوار كان في ذروة عندما تكلم الآباء على السبل التي على المؤمنين اتباعها في التفتيش عن الوحدة بينهم وعلى اولية بطرس وصلة جماعة الاساقفة بها. ففي كل هذه المراحل وضوح العرض وشمول المعلومات وصدق الخبر. وهي وثائق على المؤرخين يوماً ان يدرسوها ليكتبوا تاريخ المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني بكل ما يتطلبه من وضعية وجرأة.

ا. ع. خ

MARTINIANO RONCAGLIA, *Histoire de l'Eglise copte*, tome I, Les origines du Christianisme en Égypte: du Judéo-Christianisme au Christianisme hellénistique (Ier et IIe siècles). Éd. Dar al-Kalima, Liban, 1966, 304 pp.

هذا المجلد الأول من ستة مجلدات ستسطّر تاريخ الكنيسة القبطية في مراحل حياتها الطويلة مع ما في طيّاتها من عظمة ومجد ومن توق كان يجعلها

على اتصال دوماً ، حسب ما يقوله المؤلف في ما كتبه اليوم ، بالانجيل وكلام الله الى ما صارت اليه من صلة مع الاناجيل المحرفة والمعرفة الاشراقية الى ما هنالك من تطور في السلطة والتعليم والعقيدة والحياة الطقسية وسلطة القياصرة في العصرين الاول والثاني .

كان يردّد الى اليوم ان ايام المسيحية الاولى في مصر محجبة بالغموض ولم يكن المؤرخون الى الآن يدرسون صفحات تاريخها الا منذ القرن الثاني فاراد المؤلف ان يغلّط هذا التفكير فاراد ان يعود الى الأصول الأولية وخاصّة بعد اكتشافات قمران ليصل بنا إلى أبعد ما يمكن من الوضوح في العصور الاولى وحتى في الصلات العميقة بالانجيل وكلام الله . فكان عمله هذا شاقاً صعباً الا انه اوضح أموراً عديدة ومنها أنّه أضاء بأنوار جديدة البيئة الاصلية في تربة مصر وما زادت عليها العناصر اليونانيّة من ثروة وما اخذته من غنى وبهذا يكون المؤلف قد خدم العلم والتاريخ خدمة كان وحده قديراً ان يـديها في هذا المضمار وقد عرف القاصي والداني من محبي التنقيب سعة اضطلاعه بالموضوع الذي يدرس وقوة تفكيره وتحليل الامور .

ا. ع. خ

لبنان والفاتيكان — العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم

بقلم لحد خاطر

منشورات مجلة الرسالة المخلصية ١٩٦٦ — لبنان ، ٣٣٤ صفحة

المؤرخ الذي ينحني على الوثائق بعد ان يكون جمعها طوال السنين فيرتّبها وينسّقها ويبوّبها ويجرّب ان يفهمها من خلال الاجيال والعصور ليُعطيها حياة صادقة في تاريخ البشر ومعاطاتهم . ولقد اعطانا المؤلف هذا الكتاب وجمع بين دفّتيه تاريخاً كان له وحده ان يكتب الاحداث القيمة التي زيّنت ايامه بين الڤاتيكان ولبنان فما كانت صلات البلدين صلات سياسية فحسب انما كان خاصة صلات الروح والقيم العالية وصلات الصداقة والمحبّة . فكان لبنان دوماً يرنو إلى الـدفّة البطرسيّة فيها يرى السند المعنوي والقوّة الروحية التي توجه وتساعد . وممّا لا ريب فيه أننا نرى في هذه الصلات استقامة المعاطاة والتوجيه والتجارب والانسجام بين بلدين بنيا على الروح وتنشّقا الروح وجرّبا دوماً ان يدافعا عن الروح في عالم كانت تقلباته تدعو مرات الى فوضى القيم . وكان لشيخ الڤاتيكان دوماً ان يغذي لبنان بما أعطي من

سلطة روحية تجعله الوعيّ الامين في خدمة بشرية تتضاربها الأهواء والشهوات. وفي هذه المعاطاة المتبادلة كان لبنان أميناً ايضاً للثاتيكان إذ شعر دوماً بضرورة العودة اليه .

ولقد اعطانا المؤرّخ مجموعة نصوص ووثائق ضمّت الكثير الكثير من تلك الاعتبارات العميقة لصداقة واحترام من قبل لبنان نحو اعظم سلطة روحية في هذه الارض ومن اتّصالات طوائف لبنان المختلفة مع رومة ولقد عرّج في سير الكلام على بعض الاحداث الذي عاشها الشرق بوحي من الثاتيكان من تلك الاجتماعات الروحية بين طوائف شرقية كاثوليكية وغير كاثوليكية وعلى علاقات متينة بين البيوتات اللبنانية والبابا الى ان ينتهي في الخامس من كانون الأول ١٩٦٥ حيث احتفل في رومة بتطويب عبدالله شربل مخلوف تجلّت فيه روعة ما تكنّه رومة للبنان ولابنائه وروعة الوحدة التي تربط مختلف الطوائف اللبنانية وقوة ومناعة القيم الروحية التي يعيشها اللبنانيون كتراث لا يعوّض .

ا. ع. خ

المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين (١٨٠٠—١٩٦٥)

بقلم كوركيس عواد

مطبعة المعارف ، بغداد — ١٩٦٥ : ١٤٦ صفحة

هذا ثبت قيّم لكتاب عديدين انكبوا على لغات عديدة وفتشوا عن درسها والتأليف فيها ليعرفوا ابناء جلدتهم بما حوت تلك اللغات من ثقافة او من ثروة مفردات ومفاهيم .

ولقد يؤدي هذا الكتاب خدمات جلّى ، وهو يغطّي مئة وستين سنة من التأليف ، كما نودّ لو عرّفنا المؤلف ولو بايجاز بقيمة الكتب التي يذكرها واذا كانت هذه القيمة لا تزال كبيرة بعد ان تنالت التآليف المشابهة وتطوّر التفتيش العلمي والتنقيب في ميادين المباحث اللغوية .

ا. ع. خ